بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين

الحمد لله الذي علّم الإنسان ما لم يعلم.. وأعطاه من القدرات مابه يدرك ويفهم، أشهد أن لا اله إلا هو الإله الأكرم وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.. أتقى العباد لربه وأنقاهم قلباً وأسلم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم..

أما بعد:

يقول المولى ﷻ: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [آل عمران: ١٨]، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [الزمر: ٩].

ففي الأولى شرف لأهل العلم الشرعي لا يبلغه شرف، حيث قرن شهادتهم مع أجل شاهد على أشرف مشهود، وفيه تزكية لهم من رب العالمين بقبول شهادتهم، كما أشار لذلك ابن القيم رحمه الله.

ويكفي أن العلم ضد الجهل فالعلم نور الله تعالى وتقدس، يهبه لمن يشاء ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠].

وفضل العالم على العابد كفضل الرسول ﷺ على أدنى أمته.. وأهل العلم هم أهل الله وخاصته.. وهم ورثة الأنبياء.. وسراج الأمة.. وبدر دجاها.. وفي الحديث الصحيح: « **طلب العلم فريضة على كل مسلم** »[1].. والعلم سراج لا يخبو، ومعدن لا يضاهى، يحي المكارم، ويبني المفاخر، ويهذب النوايا، ويزين السجايا، ويتوج بالرزانة طالبه، ويحلي بالنباهة صاحبه، وهو أطيب علق يجتنى، وأنجع دوحة ترعى، وأجود جنة، وأقوى حجة، وإن أشرف العلوم وأعظمها هو العلم الذي يدل على الله ﷻ ويزيد العبد معرفة بربه. إذ شرف العلم بشرف المعلوم وهو الفقه الأكبر بالنظر إلى فقه الفروع. وحاجة العبد إليه فوق كل حاجة. إذ هو حياة القلوب، وبه تطمئن وله تسكن وتحن. فهو أعلاها قدرا، وأغلاها مهراً، وأجلاها سبيلا، وهو لب العلم ومنتهى الطلب

على نفسه فليبك من ضاع عمره ولـيس له فيـه نصـيب ولاحـظ

وشرف علم العقيدة عموما وخاصة توحيد الأسماء والصفات منه، يتضح بأمرين:

- أنه أساس الدين وقطب رحاه.

---

(١) انظر صحيح الجامع للعلامة الألباني رحمه الله (٣٩١٣).

- أنه يتعلق بالله ﷻ.

وكلما زاد المرء رسوخا في العقيدة ازداد إيماناً وعبادة لله. وأكمل الناس إيمانا أعظمهم عقيدة في الله. ومن كان بالله أعرف كان لله أخوف.

لذا أحببت أن يكون لي في هذا الفن نصيب من عمل. فقد درست قبل ست سنوات من تاريخ كتابة هذه المقدمة على أحد مشايخي قصيدة في أصول العقيدة تسمى الحائية ولقد استفدت من طريقته وهي للحافظ العلامة ابن أبي داود أبي بكر عبد الله ابن الحافظ الإمام العلامة سليمان بن الأشعث السجستاني (ت-٣١٦هـ).

وهي قصيدة مختصرة لفظاً عظيمة في المدلول تحوي علما مؤصلا، وتدل على نقاء عقيدة من نظمها، وعلو قدره في العلم، ورسوخ قدمه.. فقد شرحتها حرصاً مني على الفائدة ونشر العلم إذ لم أطلع إبان الشروع في العمل على شرح مكتوب عليها لقصور علمي وبحثي مع وفرة الشروح الصوتية ثم إني أطنب طوراً وطوراً أقلل الشرح. وأذكر بعض الفوائد التي أعرفها وأنقل ما أراه مهما من كلام الأئمة الأعلام كشيخ الإسلام ابن تيمية وغيره رحمهم الله.

وأكتفي بالإحالة إلى مصدر واحد للحديث في الغالب.

وأسأل الله تعالى وتقدس أن يبارك لي فيه، وأن يجعل لي فيه خيرا كثيرا وأن يجعله حجة لي لا علي، فما كان من صواب فهو من الله والفضل له أولا

وآخرا ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣] ، وله الحمد باطناً وظاهراً.

وما كان فيه من نقص وخطإٍ فمني والشيطان ولا غير، والله ورسوله منه بريئان. وأسأل المولى جل وتقدس أن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم وأن يتقبلها منا إنه جواد كريم وأشكره سبحانه على عطائه وفضله وأحمده حمداً كثيرا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه ثم أشكر كل من أعانني على إتمام هذا الشرح المختصر.

وصلى الله على نبيه محمد وآله وسلم..

وكتبه

أبو البراء عبد الله بن سالم حمد الصاعدي

ليلة الثلاثاء بعد صلاة العصر ١٤٢٨/٣/١٥هـ

بالمدينة النبوية حرسها الله من كل مكروه

إلهي هذا فضلك ليس إلا فمُنّ علي بالأجر الكريم

ولا تحرمني يا رباه إني أبوء إليك بالذنب العظيم

نص المنظومة

١ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى ... وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢ وَدِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ الَّتِي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُو وَتَرْبَحُ

٣ وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلاَمُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

٤ وَلاَ تَكُ فِي الْقُرآنِ بِالْوَقْفِ قَائِلاً ... كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥ وَلاَ تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ ... فَإِنَّ كَلاَمَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

٦ وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً ... كَمَا الْبَدْرُ لاَ يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ

٧ وَلَيْسَ بَمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ ... وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المُسَبَّحُ

٨ وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيَّ هذا وَعِنْدَنَا ... بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩ رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ ... فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذاكَ تَنْجَحُ

١٠ وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيُّ أَيْضاً يَمِينَهُ ... وَكِلْتَا يَدَيْهِ بِالْفَوَاضِلِ تَنْفَحُ

١١ وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... بِلاَ كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ

١٢ إِلَى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ ... فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣ يَقُولُ أَلاَ مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِراً ... وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْراً وَرِزْقاً فَيُمْنَحُ

١٤ رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لاَ يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ ... أَلاَ خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

١٥ وَقُـلْ: إِنَّ خَيْـرَ النَّـاسِ بَعْـدَ مُحَمَّـدٍ ... وَزِيـرَاهُ قِـدْماً ثُـمَّ عُـثْمَانُ الارْجَـحُ

١٦ وَرَابِعُهُـمْ خَيْـرُ الْبَرِيَّـةِ بَعْـدَهُمْ ... عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِـالخَيْرِ مُـنْجِحُ

١٧ وَإِنَّهُـمُ لَلـرَّهْطُ لاَ رَيْـبَ فـيهِمُ ... عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ

١٨ سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَـوْفٍ وَطَلْحَـةُ ... وَعَـامِرُ فِهْـرٍ وَالزُّبَيْـرُ المُمَـدَّحُ

١٩ وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصّـحَابَةِ كُلِّهِـمْ ... وَلاَ تَـكُ طَعَّانـاً تَعِيـبُ وَتَجْـرَحُ

٢٠ فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ المُبِـينُ بِفَضْـلِهِمْ ... وَفِي الْفـتْحِ آيٌ لِلصّـحَابَةِ تَمْـدَحُ

٢١ وَبِالْقَـدَرِ المَقْـدُورِ أَيْقِـنْ فَإِنَّـهُ ... دِعَامَةُ عِقْدِ الـدِّينِ، وَالـدِّينُ أَفْـيَحُ

٢٢ وَلاَ تُنْكِـرَنْ جَهْـلاً نَكِيـراً وَمُنْكَـراً ... وَلاَ الحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

٢٣ وَقُـلْ يُخْـرِجُ اللهُ الْعَظِـيمُ بِفَضْـلِهِ ... مِنَ النَّارِ أَجْسَاداً مِنَ الفَحْمِ تُطْـرَحُ

٢٤ عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَـا بِمَائِـهِ ... كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

٢٥ وَإِنَّ رَسُـولَ اللهِ للخَلْـقِ شَـافِعٌ ... وقُلْ فِي عَذابِ القَبْرِ حَـقّ مُوَضَّـحُ

٢٦ وَلاَ تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلاةِ وَإِنْ عَصَوْا ... فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

٢٧ وَلاَ تَعْتَقِـدْ رَأْيَ الخَـوَارِجِ إِنَّـهُ ... مَقَالٌ لِمَـنْ يَهْـوَاهُ يُـرْدِي وَيَفْضَـحُ

٢٨ وَلاَ تَـكُ مُرْجِيًّـا لَعُوبـاً بِدِينِـهِ ... أَلاَ إِنَّـمَا المُرْجِـيُّ بِالـدِّينِ يَمْـزَحُ

٢٩ وَقُـلْ: إِنَّـمَا الإِيـمَانُ: قَـوْلٌ وَنِيَّـةٌ ... وَفِعْـلٌ عَلَـى قَـوْلِ النَّبِـيِّ مُصَـرَّحُ

٣٠ وَيَـنْقُصُ طَـوْراً بالمَعَاصِـي وَتَـارَةً بِطَاعَتِـهِ يَنمـي وفي الـوَزْنِ يَـرْجَحُ

٣١ وَدَعْ عَنْـكَ آرَاءَ الرِّجَـالِ وَقَـوْلَهُمْ فَقَـوْلُ رَسُـولِ اللهِ أَزْكَـى وَأَشْـرَحُ

٣٢ وَلاَ تَـكُ مِـن قَـوْمٍ تَلَهَّـوْا بِـدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْـلِ الحَـدِيثِ وَتَقْـدَحُ

٣٣ إِذَا مَا اعْتَقَدْتَّ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَـذِهِ فأَنْـتَ عَلَـى خَيْـرٍ تَبِيـتُ وَتُصْـبِحُ

قال المصنف:

١ تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ وَاتَّبِعِ الهُدَى وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

الشرح:

التمسك: هو الاعتصام وقد أثنى الله تعالى وتقدس، على المتمسكين بدينه فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾[الأعراف: ١٧٠].

فدلت على أن مجرد التمسك لا يغني إذ لابد معه من الإصلاح وهو الدعوة.

وقول المصنف: « **حَبْلِ اللهِ** ».. ورد هذا اللفظ في القرآن واختلفوا في المراد به فقيل هو القرآن وقيل عهد الله ولا تعارض بين القولين؛ إذ القرآن هو عهد الله الذي من تمسك به نجا ومن نقضه خسر. والمصنف يقصد به القرآن خاصة لأنه قال بعد ذلك: « **وَاتَّبِعِ الهُدَى** »؛ أي: السنة.

والقرآن والسنة كلاهما هدى ونور.. فالقرآن يأمر باتباع أوامر الرسول ﷺ، قال تعالى وتقدس: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ﴾ [الحشر: ٧]. وقد وصف الله ﷻ كلامه بأنه هدى فقال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾[النمل: ٧٧]. ولذلك لا ينتفع بهديه وكونه رحمة إلا المؤمنون. أما

غيرهم فلا يزيدهم إلا خسارا حيث قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[يونس:٥٧]. وقال عنه في سورة الإسراء: ﴿ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴾ [الإسراء: ٨٢]. وقد أشار المصنف إلى نكتة لطيفة، وهي: الاتباع الذي هو الانقياد لأوامر الشرع انقياداً لا روغان فيه عقيدةً وقولاً وعملاً، وهذا هو المنهج الإلهي الذي تمسك به الرعيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم، حيث كانوا سادة المضمار، ونجوماً هداةً في ذلك.

كيف وهم يسمعون الوحي يقرر هذا الأصل العظيم ومنه قوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء: ٦٥].

وقد قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ [الأنعام: ١٠٦]، وهو أزكى المتبعين وأتقاهم فما ظنك بغيره من الناس، الذين خاطبهم بقوله: ﴿ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ ﴾ [الزمر: ٥٥]. ومن السنة في ذلك قوله ﷺ: « **فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ** »[1]، وفي رواية:

(١) أبو داود (٤٦٠٩) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه.

« **قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها. لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك** »[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **والذي نفسي بيده لو بدا لكم موسى فاتبعتموه لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حيا وأدرك نبوتي لاتبعني** ».[٢]

ولقد تربى أصحاب الرسول ﷺ على هذا المبدأ العظيم، وهو الانقياد والإتباع دون تردد ولا نكوص. فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه، أن الرسول ﷺ رأى خاتماً من ذهب في يد رجل فنزعه فطرحه وقال: « **يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده** » فقيل للرجل بعد ما ذهب رسول الله ﷺ: خذ خاتمك فانتفع به - أي: على وجه جائز كبيعه - قال: لا والله لا آخذه أبداً وقد طرحه رسول الله ﷺ[٣].

فالله أكبر ما أجملها من عبارة وما أزكاه من أثر. يقول صديق هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه: « لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ »[٤] وقال الفاروق رضي الله عنه: « اتهموا

---

(١) ابن ماجة (٤٣).

(٢) سنن الدارمي (٤٣٥) والبيهقي في شعب الإيمان (٤٨٣٦).

(٣) مسلم (٥٥٩٣).

(٤) البخاري (٣٠٩٣) بترتيب الفتح.

الرأي على الدين ولقد رأيتني أرد أمر الرسول ﷺ برأيي اجتهادا والله ما آلو عن الحق وذلك يوم أبي جندل »[١] – يعني يوم الحديبية – وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « إننا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع،ما نضل ما تمسكنا بالأثر ». وقال ابن مسعود رضي الله عنه : « القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ».

فهذه بعض أقوالهم رضي الله عنهم كانوا وقافين عند نصوص الشرع. إذا جاء أمر لا يسألون هل هو للوجوب أو للاستحباب أو إذا ورد نهي هل هو للتحريم أو للكراهية. إنما كان قولهم: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

ولما نزل تحريم الخمر لم يجد الراوي تعبيرا ليوضح به سرعة استجابة الصحابة لأمر الله أدق من قوله: « حتى سالت زقاق المدينة » وذلك عندما نزل قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة: ٩١]. فكانوا يقولون: انتهينا انتهينا. فكيف بمسائل العقيدة من شركيات وبدع ظاهرة. لقد كانوا يفرون من ذلك فرار الصيد من الأسد خوفا من هلاك دينهم متمسكين بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾[ا لأنعام: ١٥٣]

والسبل هي الطرق الملتوية المخالفة للصراط المستقيم.

---

(١) اللالكائي (٢٠٨).

يقول الشيخ ابن جبرين رحمه الله: « وقد ضرب لها بعض مشايخنا مثلاً بعسيب النخل، إذا تدلى فوصل طرفه إلى الأرض. فلو تعلقت به حشرة ورقت فيه فإنها إذا مشت على أصل العسيب وصلت إلى فرع النخلة وأكلت فإن انحرفت وركبت إحدى الخوص سقطت إلى الأرض »[١].ا هـ

وفي حديث بن مسعود رضي الله عنه أن الرسول ﷺ خط خطاً بيده ثم قال: « **هذا سبيل الله مستقيما** » ثم خط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال: « **وهذه السبل ليس منها سبيل إلا وعليه شيطان يدعوا إليه** »[٢] ثم قرأ الآية السابقة.

وقول المصنف: « **وَلاَ تَكُ بِدْعِيًّا** » أمر بالاتباع قبل هذه اللفظة ثم نهى عن الابتداع الذي هو سبيل غير المؤمنين قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا**﴾ [النساء: ١١٥].

والبدعة في الاصطلاح: الإحداث في الدين بشيء لا أصل له في الشرع، وهي أخطر من الكبائر إن كانت في الاعتقاد، وهي ضلال مبين يهلك المعتقَدَ الصحيح، ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها: أن الرسول ﷺ قال:

---

(١) شرح كتاب التوحيد (١/ ٦٧)

(٢) أحمد (٤١٤٢).

«**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[١]، وفي رواية: « **من عمل عملاً ليس من أمرنا فهو رد** ».

والبدعة في الدين نوعان:

الأول: قولية اعتقادية كمقالات الجهمية والرافضة وغيرهم من الفرق الضالة.

الثاني: بدعة في العبادات وتكون في أصل العبادة أو بزيادة عليها أو بتغيير في صفتها أو بتخصيص وقت أو مكان غير مشروع لها، وقد شرح شيخنا العلامة ابن عثيمين حديث عائشة ﵂ في شرح الأربعين النووية وهذا الحديث هو السابع شرحه شرحاً ممتعاً وافياً فيه علم وتأصيل فانظر فيه تجد مورداً زلالاً.

واعلم يا أخي أن البدع ليس فيها بدعة حسنة لأن الرسول ﷺ يقول: «**وكل بدعة ضلالة**»[٢].

وأما قول عمر ﵁: «نعمت البدعة هذه »[٣] في صلاة التراويح فلا يدل

---

(١) مسلم (١٧١٨).

(٢) مسلم (٢٠٤٢) من حديث جابر ﵁.

(٣) الموطأ (٣٠٣).

على أن البدع منها ما هي حسنة أو سيئة إذ إن صلاة التراويح لها أصل في الشرع فقد صلاها الرسول ﷺ ليالي ثم تركها شفقة على أمته وخشية أن تفرض عليهم، واستمر الصحابة رضي الله عنهم يصلونها. حتى جمعهم عمر على إمام واحد، ثم إن عمر رضي الله عنه في قولته تلك يقصد البدعة اللغوية لا الشرعية ثم إن السنة دلت على الأخذ بهديه لأنه خليفة راشد.

واعلم أن البدع دركات وظلمات بعضها فوق بعض فمنها المخرج من الدين كالطواف بالقبور تقربا للأموات ومنها ما هو وسيلة للشرك كتنوير القبور وتجصيصها ومنها ما هو محرم كالخصاء بقصد قطع شهوة الجماع تبتلاً، ومنها ما هو في الأعمال الفعلية الشرعية وقد سبق ذكرها من دون أمثلة كالزيادة في أصل العبادة كمن يصلي الظهر خمساً أو التغيير في صفة العبادة كقول أذكار الصلاة جماعيا، ومنها تخصيص وقت أو مكان لم يشرع نحو من خصص شهر رجب أو صيام المرء يوم مولده قاصداً له. وتخصيص المكان كزيارة السبع المساجد للصلاة فيها بالمدينة، وقد تكون في جنس المشروع كمن يضحي بخيل مثلاً.

ثم أخبر المصنف أن من تمسك بالكتاب والسنة على فهم السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان فقد أفلح، والفلاح لغة من فَلَح أي: شق.

قال الشاعر: إن الحديد بالحديد يفلح.

ومنه سمي الفلاّح بذلك؛ لأنه يشق الأرض للحرث والمؤمن يشق الشهوات والمغريات بسيف الكتاب والسنة لذا هو من المفلحين، ويدل على ذلك حديث الافتراق وفيه: « **وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة** » قالوا يا رسول الله: ماالفرقة الناجية؟ قال: « **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** »(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « هو حديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد ». وقال: « أما الفرق الباقية فهم أهل الشذوذ والتفرق والبدع والأهواء.. وشعار هذه الفرق مفارقة أهل الكتاب والسنة والإجماع »(٢).

وقد ذكر المصنف لفظ « **الله** ».

قال ابن القيم رحمه الله: « الصحيح أنه مشتق وأن أصله الإله، وهو الجامع لمعاني الأسماء الحسنى والصفات العلى ».

وقد قال بعضهم: « أنه هو الاسم الأعظم ».

وقد قال الشيخ الغنيمان حفظه الله: « إن الاشتقاق يعني أن يلاقي المعنى الذي دل عليه وليس معناه أنه مشتق من شيء قبله ».

---

(١) أبو داود (٤٥٩٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٢١٥).

ومعنى الإله كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الإله: هو ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين».

والإله: هو المعبود الذي تألهه المخلوقات كلها وتعبده.

كما قال رؤبة:

لله در الغانيات المدة تسبحن واسترجعن من تأله[١]

فالتأله هو التعبد والتنسك.

(١) الديوان (١٦٥).

قال المصنف:

٢ وَدِنْ بِكِتَـــابِ اللهِ والسُّـــنَنِ الَّتـــي أَتَـتْ عَـنْ رَسُـولِ اللهِ تَنْجُـو وَتَـرْبَحُ

الشرح:

قوله « **وَدِنْ** »: من الديانة وهي العمل والعبادة ومنه قوله تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[الكافرون: ٦]. وقد يطلق الدين ويراد به الجزاء كقوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾[الفاتحة: ٤]. ولذا ورد أن « الدّيان » اسم من أسماء الله، حيث روى أحمد في مسنده وذكره البخاري في صحيحه بصيغة الجزم، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: « قال عبد الله بن أنيس: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **يحشر الله الناس يوم القيامة عراة غرلاً بهما.** » قلنا: ما بهما؟ قال: « **ليس معهم شيء، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك: أنا الدّيان. لا ينبغي لأحد من أهل الجنة يدخل الجنة وأحد من أهل النار يطلبه بمظلمة، ولا ينبغي لأحد من أهل النار يدخل النار وأحد من أهل الجنة يطلبه بمظلمة حتى اللطمة.** » قال: قلنا:كيف هو وإنما نأتي الله تعالى عراة غرلاً بهما؟! قال: «**بالحسنات والسيئات** »[1].

---

(١) أحمد (١٦٠٨٥).

والمصنف يؤيد مقصده في البيت الأول بقوله هذا، فلا نجاة للعبد إلا باتباع كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وقد جمع المصنف لفظ السنن باعتبار تنوعها وإلا فكلها وحي من الله ﷻ ، فمن أراد النجاة من كرب الدنيا وأهوال الآخرة فليعض بنواجذه على سنة الرسول ﷺ، فهي النور التي دعا إلى التمسك بها كتابُ الله تعالى وتقدس.

قال الحسن البصري رحمه الله: « ابنَ آدم عن نفسك فكايس فإنك لو دخلت النار ما أفلحت بعدها أبداً ».

قال المصنف:

٣ وَقُلْ غَيْرُ مَخْلُوقٍ كَلاَمُ مَلِيكِنَا بِذَلِكَ دَانَ الأَتْقِيَاءُ وَأَفْصَحُوا

٤ وَلاَ تَكُ فِي الْقُرآنِ بالْوَقْفِ قَائِلاً كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا

٥ وَلاَ تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ فَإِنَّ كَلاَمَ اللهِ بِاللَّفْظِ يُوضَحُ

الشرح:

يشير المصنف إلى عقيدة أهل السنة والجماعة في القرآن الذي هو كلام الله حقيقة تكلم به بصوت مسموع، وأمر جبريل عليه السلام أن يبلغه إلى محمد ﷺ فنزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، والله عز وجل يتكلم كيف شاء ومتى شاء كلاماً يليق بجلاله وعظمته ترتعد عند سماعه السموات السبع هيبة منه، فتخر الملائكة ساجدة وتصيبها غشية من خشية الله تعالى، وكلامه سبحانه وتعالى صفة من صفاته التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء:١٢٢]، وقال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٤] وقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾[التوبة: ٦].

وفي الصحيحين؛ قال ﷺ: « **يقول الله تعالى: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك**

فينادي بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار »[(١)].

وفي الصحيحين أيضا؛ قوله ﷺ: « **ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه وليس بينه وبينه ترجمان** »[(٢)].

واعلم أن كلام الله صفة ذاتية وفعلية. والقرآن هو كلام الله كما سبق؛ والمصنف يقول لك: قل إن القرآن غير مخلوق.

وهذه اللفظة أعني: « غير مخلوق »؛ مذهب أهل السنة والجماعة ودين الأتقياء من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين فالله ﷻ قال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. ويقول: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴾ [الشعراء: ١٩٣]. وهذا هو المستقر في نفوس أهل العقيدة السليمة، ثم ظهرت الفتن وانتشر دعاة الضلالة بعد عصر الصحابة وخرج من يدعو إلى تعطيل الرب ﷻ من صفات الكمال والعظمة وهو رجل يدعى الجهم ابن صفوان؛ ظهر في ترمذ ثم انتقل إلى بلخ حيث قال بخلق القرآن وكان شيخه الجعد بن درهم الذي أخذ ضلاله عن أبان بن سمان عن طالوت وهو ابن أخت لبيد بن الأعصم اليهودي الذي سحر رسول الله ﷺ.

---

(١) البخاري (٤٧٤١) بترقيم الفتح.

(٢) مسلم (٢٣٩٥).

والجعد بن درهم كان بحران وكان فيها خلق كثير من الصابئة والفلاسفة ومذهبهم أن الرب ليس له إلا الصفات السلبية أو الإضافية، فيكون قد تلقى عنهم خرافاته وضلالاته[١].

وحقيقة مذهب من يقول أن القران مخلوق هو تكذيب القران وتجهيل الرسول ﷺ وأنه ﷺ يتكلم بكلام لا معنى له ولم يبينه فالله المستعان: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]. فهل صفات الله مخلوقة تعالى الله وتقدس.

أيها الموفق: فقل كلام الله حقيقي والكيف غير معقول والإيمان به واجب والسؤال عن الكيف بدعة كما قال السلف رحمهم الله.

فيجب على المسلم أن يثبت ما أثبته الله لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ دون تكييف ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل على وجه يليق بجلال الله وعظمته فقد قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١]. فتنفي عن الله كل صفة نقص وعيب وتثبت له ما ثبت في الكتاب والسنة. ففي هذه الآية أثبت سبحانه لنفسه صفتي السمع والبصر فهو يسمع ويبصر حقيقة على وجه الكمال المطلق والعظمة المطلقة.. فهو يسمع أعظم الأصوات

(١) انظر مجموع الفتاوى: (٥/ ٢١).

كأدقها، ويرى ألطف المرئيات كأعظمها كل ذلك سواء عنده لأنه واحد في صفاته وأسمائه وربوبيته وألوهيته.

فقدرته يستوي فيها خلق أصغر المخلوقات وخلق أكبرها لذا قال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١].

ومن نزلت فيه هذه الآية كان أغنى رجل في مكة ومع هذا فهو وحيد عند قدرة الله التي يستوي عندها كل الخلق فهو ﷻ له الكمال في كل صفة مدح وثناء، وقد نظمت في بعض القواعد الهامة في الصفات الإلهية منظومة تربو على (٣٠٠) بيتاً لمن يريد الفائدة أغلبها من كتاب شيخنا العلامة محمد العثيمين رحمه الله وقدس الله روحه، وهو كتاب جليل القدر بارع المعنى كالصواعق على أهل الضلال وفيه تأصيل متين لطالب العلم في باب الأسماء والصفات فأدعو كل طالب علم إلى قراءته وإتقانه، فسوف يجد السلسبيل إلى معرفة عقيدة أهل السنة والدليل الساطع.

ثم أشار المصنف إلى مسألة التفويض في الصفات وهو التوقف وليس المقصود التوقف عن البحث في كيفيات الصفات، بل المقصود تفويض أدلة الصفات مطلقا وكأنها طلاسم غير واضحة وألفاظ مختلطة وهذا المبدأ من مقالات الجهم بن صفوان فأصحاب هذا المذهب لا يسلكون مسلك المعطلة ولا يستقيمون على مذهب أهل السنة بل يقولون إننا لا ندري هل

ظاهر الصفات مراد أم غير مراد. وهو قول ظاهره فيه السلامة وباطنه من قبله الفساد الاعتقادي إذ أبرموا هذا المعتقد الفاسد وهو من شر الأقوال إذ يدل على أن القرآن والأحاديث غامضة المعاني جاءت بألفاظ تقصر عن البيان فهل كلام الله لا يدرى ما معناه؟ وفي مذهبهم قدح في تبليغ الرسول ﷺ وأنه أخبر عن ربه بعبارات لا تؤدي إلى الغرض من الرسالة فلم يبين للناس والله ﷻ يقول: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾ [النحل: ٨٩]. وفي مذهبهم تعطيل لحقائق نصوص الشريعة لأنها عندهم غير واضحة خاصة في باب الأسماء والصفات والله ﷻ أخبر أنه أرسل رسوله ليبين للناس ما نزل إليهم، وهؤلاء يلزمهم من قولهم الفاسد أنه ﷻ لم يبين، وأنه تبارك وتقدس لم يصب في اختياره لهذا الرسول الكريم ﷺ فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم وهو القائل: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾ [الأنعام: ١٢٤] ، وقال: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص:٥١] ، وقال: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ ﴾ [ا لزمر: ٢٨] ، وقال عن رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [المؤمنون: ٧٣] ، وقال: ﴿ **وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ** ﴾[النجم: ٣ – ٤].

وقول المصنف: « **كَمَا قَالَ أَتْبَاعٌ لِجَهْمٍ وَأَسْجَحُوا** ».

يعني بذلك الجهمية ومن وافقهم في القول بأن القرآن مخلوق، والجهمية قسمها شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ إلى ثلاث درجات:

الأولى: الغلاة منهم الذين ينفون الأسماء والصفات عموماً ويقولون هي مجاز؛ وهم أعظمهم خطراً وأشدهم كفراً لا يعبدون إلا العدم.

الثانية: المعتزلة ونحوهم اللذين يثبتون الأسماء بلا صفات.

الثالثة: طائفة فيها تجهم يقرون بأسماء الله وصفاته في الجملة ولكنهم يردون طائفة من الأسماء؛ وبعضهم يقر بما في القرآن دون الحديث.

والجهمية التي غلت – القسم الأول – لها عقائد كثيرة وآراء رد عليها أهل العلم في الكتب المتخصصة نجمل منها :

أ- ينكرون جميع الأسماء والصفات.

ب- القول بالجبر والإرجاء.

ج- إنكار كثير من أمور اليوم الآخر؛ كالصراط والميزان والرؤية ويقولون بفناء النار والجنة.

د- ينفون علو الله على خلقه من حيث الجهة فيقرون بعلو القدر والصفات ويعطلون علو الذات.

هـ- القول بأن الله قريب بذاته ومع كل أحد بذاته وهو مذهب الحلولية تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وقد ذهب كثير من أهل العلم سلفاً وخلفاً إلى تكفيرهم وإخراجهم من أهل القبلة كالدارمي وحماد بن زيد وابن مبارك ووكيع ومالك بن أنس.

قال بعض أهل العلم: « إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق ».

قال ابن المبارك: « من قال: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]؛ مخلوق؛ فهو كافر ولا ينبغي لمخلوق أن يقول ذلك » يعني الآية.

وقال أحمد: « إذا قال الرجل: العلم مخلوق فهو كافر لأنه يزعم أنه لم يكن له علم حتى خلقه»[(١)].

وقال أيضا: « من قال أن القرآن مخلوق فهو كافر لأن القرآن من علم الله ».

فاتضح أن هذه الفرقة شر الفرق وأطغاها فقد حرفوا وبدلوا كلام الله ﷻ.

وقول المصنف: « **وَأَسْجَحُوا** » من أسجح يسجح إسجاحاً إذا سهل اللفظ؛ أي: سهلوا هذا السبيل المعوج ورضوا به فساءت ملتهم وقالوا على الله الكذب واقتحموا المهالك فليحذر المسلم من شرهم وضلالهم..

ثم في البيت الثالث من المقطع السابق عند قوله « **وَلاَ تَقُلِ الْقُرْآنُ خَلْقٌ قَرَأْتُهُ** » يحذر المصنف من قول: لفظي بالقرآن مخلوق؛ وهي في الحقيقة

(١) اللالكائي (٣/ ٤٠٥)

لفظة محتملة وموهمة تأخذ حكم الألفاظ المجملة وتركها هو المنهج الحق، ولكن من قالها وأراد بقوله لفظي؛ أي: الصوت الخارج من حركة الفم وما فيه من الأعضاء فهذا مخلوق حقاً والقول مبتدع، ومن أراد لفظ القرآن وجمله فهو جهمي؛ كما قال الإمام أحمد: « من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع ». ويقصد بكونه مبتدعا هو أن السلف يقولون القرآن كلام الله المنزل، ولا يوردون هذه الألفاظ الموهمة المجملة.

فالمصنف يقول بأن كلام الله واضح، بين، جلي، لا خفاء فيه يتضح للسامع بالتلفظ به، فإن المتكلمين به - أي الناطقين - كُثر وتختلف أصواتهم ولغاتهم ومع هذا فهو كله كلام رب العلمين أنزله الله على رسوله، ولا يحتاج المرء إلى مثل هذه الكلمات الموهمة ليبين عقيدة السلف في أن القرآن غير مخلوق، فالآيات الدالة على أن القرآن كلام الله المنزَّل، والأحاديث الدالة ذلك واضحة المعنى فكيف يوفق الله من لا يسعه ما وسع الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وكذلك كلام الله يتضح عندما نقرؤه ونلفظه بأفواهنا تعبداً لله بذلك، فلا نحتاج إلى الكلام في مثل هذه المسائل الواضحة لصبيان المسلمين ولكن هؤلاء المردة جعلوا سلفنا الصالح يطرقون هذه المسائل لحماية جناب الدين الذي هو أوضح من الوجناء في كبد السماء.

قال المصنف:

٦ **وَقُلْ يَتَجَلَّى اللهُ لِلخَلْقِ جَهْرَةً كَمَا الْبَدْرُ لاَ يَخْفَى وَرَبُّكَ أَوْضَحُ**

الشرح:

يتحدث المصنف هنا عن رؤية المؤمنين لله تعالى وتقدس في الآخرة.. وهذا أمر ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.. فقد قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣]. وهذا أخص دليل فقد قال ابن كثير رحمه الله: « وهذا أمر مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة ».

وقال تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾[يونس: ٢٦]. روى مسلم في صحيحه عن صهيب رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ فقال: « **إذا دخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، نادى مناد: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعد ويريد أن ينجزكموه فيقولون: ما هو؟ ألم يثقل موازيننا، ويبيض وجوهنا، ويدخلنا الجنة، ويجرنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إليه، فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة**»[1].

والأحاديث في ذلك متواترة رواها أصحاب الصحاح والسنن منها

(١) أحمد (١٨٩٥٦) وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن ناساً قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: « **هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: « **هل تضارون في الشمس ليس من دونها سحاب** » قالوا: لا، قال: « **فإنكم ترونه كذلك** »[١].

وحديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه الذي سيشير إليه المصنف بعد ذلك وفيه أنه قال: كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: « **إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا – أي القمر – لا تضامون في رؤيته** »[٢].

وقد روى الأحاديث الثابتة في ذلك ثلاثون صحابيا، وينبغي أن نعلم أن أصول الدين لا تعلم إلا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأبصارنا تعجز عن رؤية الله في الدنيا ولذا قال سبحانه لكليمه: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] ؛ أي: في الدنيا.

فهو سبحانه احتجب عن خلقه في الدنيا ولو كشف عن سبحات وجهه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه، فنوره سبحانه لا يقوم

---

(١) مسلم (٤٦٩).

(٢) مسلم (١٤٦٦).

له شيء من خلقه، وهذا لا يعارض رؤيته يوم القيامة فإنه بعد بعثنا في أجسادنا الأولى يعطينا قوة فتكون أجسادنا لا تقبل الموت مطلقا فأهوال يوم القيامة وشدائدها تعجز أجسادنا في الدنيا على القيام لها.. فتأمل أن الناس يقفون خمسين ألف سنة في موقف واحد والشمس فوقهم بمقدار ميل ولا طعام ولا شراب ومع هذا لا يموتون وهذا يدل على كمال قدرة الله الذي له صفات لا يجوز أن تكون لأحد سواه قال ﷻ: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] ، فأحياناً يبطل الله الأسباب فلا تعمل بل قد يجعله يعمل في أمر ويقبضه عن آخر وهما متعاصران كما في قصة الذي مر على القرية الخاوية على عروشها إذ قبض الله سير الزمان عن الطعام وأمضى سنته الكونية على الحمار فمن يملك هذه القدرة الطليقة إلا من له الكمال المطلق سبحانه وتقدس.

فينبغي أن نوقن بذلك كله وأن نعتقد أن الله على كل شيء قدير، واعلم أن أجمل ما في الآخرة هو النظر إلى وجه الله الكريم، كما أن أعظم ما في الدنيا هو الإيمان ومنه الإيمان بذلك، واعلم أن ربنا سبحانه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وعلينا أن نؤمن بما قاله الله ورسوله ﷺ دون تأويل فاسد وقياس باطل ومن أنكر الرؤية بعد ذلك فقد كفر لأنه مكذب لله ولرسوله في حقيقته، يقول العلامة شيخنا ابن عثيمين ﵀: « والنصوص فيها قطعية الثبوت والدلالة، ونحن نعلم ربنا بقلوبنا لكن لا ندرك كيفيته وحقيقته وفي يوم القيامة نرى ربنا

بأبصارنا ولكن لا تدركه أبصارنا »[1].

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ، وقوله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ﴾[طه: ١١٠] ؛ فالنظر بالبصر حقيقة لا يلزم منه الإدراك، بل الآية من أوضح الأدلة على أن الله سبحانه له نفس بلغت غاية الجلال، وله صفات فاقت أرقى الكمال، لأنه نفى الإدراك ولم ينف الرؤية فتأمل ذلك، كما أفاده ابن تيمية رحمه الله.

واعلم أن من أعظم النعيم وأجله هو النظر إلى وجه الرب الكريم وهو نعيم عظيم نسأل الله أن يرزقنا لذة النظر إلى وجهه الكريم والشوق إلى لقائه في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة.

(١) شرح الواسطية (٤٤٩/ ١).

قال المصنف:

٧ وَلَيْسَ بَمَوْلُودٍ وَلَيْسَ بِوَالِدٍ وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى الْمُسَبَّحُ

الشرح:

فهو سبحانه له الغنى الكامل في ذاته وأفعاله وأسمائه وصفاته وكل شيء سواه فقير إليه، محتاج إلى عطائه، والله سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ؛ فقد قال سبحانه: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾ [الأنعام: ١٠١] ، وقال أيضا: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤]، فهذه السورة تعدل ثلث القرآن في الجزاء لا في الإجزاء، وقد أثبتت ثلاثة أمور: الألوهية والأحدية والصمدية ونفت خمس صفات سلبية عن الرب وهي: « نفي التعدد في قوله: ﴿أَحَدٌ﴾، وعدم الإحتياج: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾، وعدم الحدوث: ﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾، وعدم الفناء: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾، لأن من يلد بحاجة إلى وارث لفنائه، وعدم المشابهة للحوادث: ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ ». فدلت على أنه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، ومن القواعد الأصولية المعتبرة عند أهل السنة والجماعة أن النفي يقتضي كمال ضده، فثبت بذلك أن الله تعالى وتقدس له الألوهية والأحدية والصمدية. أي: له الغنى المطلق، وتقدس الرب العظيم عن أن يكون له ولد

ولذا قال لرسوله: ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴾ [الزخرف: ٨١] ؛ فتبين أن جواب الشرط لن يقع لعدم تحقق ما قبله، وتأمل أن الله ﷻ يعرض هذه الفرية الشنيعة في كتابه وينزه نفسه عنها لكمال قدسيته ووحدانيته، وأخبر أن السموات السبع الطباق تكاد أن تتفطر لهول هذه الفرية والأرض كذلك تكاد أن تدك وتكاد أن تخر الجبال هدا، لماذا؟ ﴿أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾ [مريم: ٩١ – ٩٣]. أي: مقهوراً ذليلاً.

وقد قال قبلها ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ [مريم: ٨٩] أي: أمراً منكراً فظيعاً.

والأد: هو حنين الناقة، وكأن الخلق له حنين لهول هذه الفرية المدلهمة ولكننا لا نشعر بذلك والله أعلم..

فالمسلمون قاطبة لم يرد عن أي فرقة من فرقهم أنها قالت بهذا، وتأمل أن الله ﷻ حكى ذلك عن اليهود والنصارى والمشركين.. فاليهود قالت: عزير ابن الله؛ والنصارى قالت: المسيح ابن الله؛ والمشركون قالوا: الملائكة بنات الله؛ قاتلهم الله كيف يصفون الغني بوصف الفقير المحتاج، فالمخلوق يحتاج إلى من يعينه ويعطيه ويرثه أما الرب الغني العظيم فلا يحتاج أحدا، بل كل الخلائق تصمد إليه: ﴿ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ [الزمر: ٤].

روى البخاري في صحيحه قول الرسول ﷺ: « **لا أحد أصبر على أذى يسمعه من الله، إنهم يجعلون له ولداً وهو يرزقهم ويعافيهم** ».

وهو سبحانه كذلك الأول وليس قبله شيء فكيف يكون مولوداً وهذا الشيء لم يقله أحد لأنه لا يتصوره عقل، ولكن نزلت به السورة لتخلص الرب عن كل عيب ونقص فلذا سميت بالإخلاص والله أعلم.

قول المصنف: « **تَعَالَى المُسَبَّحُ** »؛ التسبيح مصدر سَبَّح والمفعول منه «مُسَبَّح» والتسبيح: حقيقته تنزيه الله تعالى عن كل نقص وعيب وعن كل وصف لا يليق بجلاله؛ والمراد أي جل قدره وتقدس وصفه، ولفظ «**تَعَالَى**»: من العلو؛ أي: بلغ نهاية الكمال في العلو، فالله تعالى في ذاته وقدره وقهره.. وقوله: « **المُسَبَّحُ** »؛ يؤيده قوله سبحانه: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا نَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

وفي صحيح البخاري عن أبي مسعود: (**كنا نسمع تسبيح الطعام قبل أن يؤكل**)[1].

فكل شيء ينزه الله ويعظمه إلا المعطلة والممثلة والكفرة وأمثالهم، فالمعطلة يقولون:سبحان من تنزه عن الصفات فهم يعبدون عدما، والممثلة:

---

(١) البخاري (٣٥٧٩) بترقيم الفتح.

شبهوه بالمخلوق فهم يعبدون صنما.. فيجب أن ننزه المولى جل وعلا كما نزهه رسله الذين هم أعرف البشر بربهم، قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ – ١٨٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾ [الإسراء: ١١١] ، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون: ٩٠ –٩١].

ومن أراد الاستزادة في التفصيل والرد فليرجع إلى تفسير سورة الإخلاص من أضواء البيان فقد أجاد وأفاد شيخنا العلامة عطية ﷺ.

وقول المصنف: « **وَلَيْسَ لَهُ شِبْهٌ تَعَالَى المُسَبَّحُ** »؛ فيه إيضاح أن نسبة الولد إلى الله حقيقته تشبيه الخالق بالمخلوق، ومن شبه الله بشيء من خلقه فقد افترى وكفر كما قال ذلك بعض التابعين. فالله سبحانه لا مثيل له ولا نظير له ولم يكن له كفواً أحد. ونفي النظير والمثيل ليس معناه نفي الصفات بل المراد نفي أن يماثله أحد، فهو سبحانه أخبر أن له يداً تليق بجلاله وعظمته لا يعرف كيفيتها أحد من خلقه. ولا يجوز لأحد أن يشبهها بشيء من خلقه.

والنصارى شبهوا المخلوق بالخالق فوصفوا المخلوق بصفات الخالق لأنهم يزعمون أن عيسى ابن الله وهذا مثل قول غلاة الصوفية الذين عبدوا

الرسول ﷺ من دون الله فوصفوه بصفات الألوهية، وكل من أعطى المخلوق شيئا من صفات الخالق التي يجب أن لا تصرف لغير الله سبحانه ولا تكون لسواه فقد شبه المخلوق بالخالق.

ومن شبه صفات الله بصفات خلقه فهو من المشبهة. وتعالى الله وتنزه عن كل عيب ونقص فهو المسبح؛ أي: المنزه عن ذلك.

ويجب أن نعلم أن كل صفة نقص ممتنعةٌ في حق الله تعالى كالجهل والنوم والعجز.

واعلم أن الخالق من المحال أن يشبه المخلوق؛ يقول شيخنا ابن عثيمين: « كيف يكون الرب الخالق الكامل من جميع الوجوه مشابها في صفاته للمخلوق المربوب الناقص المفتقر إلى من يكمله وهل اعتقاد ذلك إلا تنقص لحق الخالق فإن تشبيه الكامل بالناقص يجعله ناقصاً »[1].

وأول من شبه هم الرافضة، وقيل أن رأس المشبهة هو داود الجواردي، ومن المشبهة أيضا الكرامية، نسبة إلى محمد بن كرام وبدعة التشبيه جاءت من خراسان والله أعلم.

(١) القواعد (٢٦).

قال المصنف:

٨ وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيَّ هذا وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

٩ رَوَاهُ جَرِيرٌ عَنْ مَقَالِ مُحَمَّدٍ فَقُلْ مِثْلَ مَا قَدْ قَالَ فِي ذاكَ تَنْجَحُ

الشرح:

يقصد المصنف بإنكار الجهمية إنكارهم رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فالمخالفون فيها هم الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية، وقولهم باطل مردود بالكتاب والسنة كما سبق، فهم أبوا إلا التمرد والتحريف بما يسمونه تأويلاً فجنوا على اعتقادهم وأفسدوا دينهم كما فعل أشياعهم من قبل من اليهود والنصارى الذين حرفوا الكلم عن مواضعه ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ٧٨] يقول ابن أبي العز في شرح الطحاوية: « وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد ».

ثم أشار لك المصنف أن الرؤية فيها حديث صريح ثابت ويعني به حديث جرير بن عبد الله البجلي السابق.

قال ابن تيمية رحمه الله: « وهذا الحديث من أصح الأحاديث على وجه الأرض المتلقاة بالقبول المجمع عليها عند العلماء بالحديث وسائر أهل السنة »[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٢١).

وراويه صحابي جليل سيد قبيلته « بجيلة » أسلم قبل وفاة الرسول ﷺ بأربعين يوما وكان يقول: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني قط إلا ضحك وتبسم.

وقال فيه رسول الله ﷺ يوم قدومه من اليمن مسلماً: « **إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه** »(١).

وقد دعا له الرسول ﷺ بقوله: « **اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا** »(٢).

وقد كان عمر يقول عنه: « جرير بن عبد الله يوسف هذه الأمة ». لأنه كان جميلاً رضي الله عنه.

وقال عمر رضي الله عنه: « يا جرير ما زلتَ سيداً في الجاهلية والإسلام ».

مات رضي الله عنه سنة ٥٤هـ.

(١) ابن ماجة (٣٧١٢).

(٢) مسلم (٦٥١٩).

قال المصنف:

٨ وَقَدْ يُنْكِرُ الجَهْمِيَّ هذا وَعِنْدَنَا بِمِصْدَاقِ مَا قُلْنَا حَدِيثٌ مُصَرِّحُ

الشرح:

صفة اليدين لله ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع؛ وهي صفة ذاتية خبرية قال تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص: ٧٥] ، وقوله: ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾[الفتح: ١٠].

أما الأحاديث فهي كثيرة جداً حيث بلغت حد التواتر ومنها: ما رواه البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلا لأهل الجنة** »(١).

وجاء في رواية أخرى عن ابن عمر رضي الله عنهما أشار إليها ابن حجر رحمه الله في الفتح: « **فيجعلها في كفه ثم يرمي بها كما يرمي الغلام الكرة** ».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **يقبض الله عز وجل يوم القيامة الأرض بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين الملوك؟** »(٢).

---

(١) البخاري (٦٥٢٠) بترتيب الفتح.

(٢) مسلم (٧٢٢٧).

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم رحمهما الله أن الرسول ﷺ: « **يد الله ملأى لا يغيضه نفق، سحاء الليل والنهار** »[١].

وعند مسلم رحمه الله عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين** ».

لذا فأهل السنة يثبتون هذه الصفة وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة حقيقة دون تأويل أو تمثيل أو تكييف، إثباتا يليق بجلال الله وذاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾[الشورى: ١١].

وقد وردت رواية عند مسلم والبخاري رحمهما الله أثبتت لفظ الشمال وهي قوله ﷺ: « **ثم يأخذهن بيده اليمنى ويطوي الأرض ثم يأخذهن بشماله** »[٢].

وهذه الرواية ضعفها البيهقي؛ وقال أنه تفرد بها عمر بن حمزة عن سالم وقال: قد روى الحديث نافع وعبيد الله بن مقسم عن ابن عمر ولم يذكرا فيه لفظ الشمال وقال: « وكيف يصح ذلك وقد صح عن النبي ﷺ أنه سمى كلتا يديه يمين ».

وهذه الرواية رواها مسلم والبيهقي والدارمي وأحمد والنسائي وابن خزيمه

---

(١) مسلم (٤٨٢٥).

(٢) انظر صحيح الجامع (٨١٠١).

– رحمة الله عليهم – كما ذكر ذلك العلامة الألباني ﷺ في كتابه صحيح الجامع، فهي ثابتة وليس هناك تفرد لأنها وردت في نصوص صحيحة.

أما قوله: « **وكلتا يديه يمين** »؛ فقد قال ابن قتيبة ﷺ: « أراد معنى التمام والكمال حتى في الشمال ».. لأن كل شيء في المخلوقين مياسره تنقص عن ميامنه وهذا هو الذي جعل الإمام البيهقي ﷺ يردها لأنه توهم ذلك، والخالق ﷻ ليس كمثله شيء وليس كالمخلوقين، وما الذي جعل المعطلة يردون الصفات إلا أنهم ظنوا الإثبات يقتضي التمثيل وهذا غير صحيح فالتشابه في الأسماء لا يقتضي التماثل في المسميات قال الناظم:

ولا يدل كون الأسما تشتبه تماثل المسميات فانتبه

فيتضح أن الرواية ثابتة صحيحة ونقول أن يد الجبار ذات كمال وجلال لا نقص فيها وأنه لا فرق بينهما في الجلال والكمال والعظمة والعطاء فشماله كيمينه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى: ١١].

فإذا دل الدليل وصح لا نعدل عنه ولا نمثل ولا نكيف ولا نأول.. وأثبتت السنة كذلك صفة الأصابع لله ﷻ لما رواه الشيخان رحمهما الله عن ابن مسعود ﷺ أنه جاء حبر إلى النبي ﷺ فقال: « يا محمد إن الله يضع السماء على إصبع والأرض على إصبع والجبال على إصبع والأشجار والأنهار

على إصبع وسائر الخلق على إصبع ثم يهزهن ويقول: أنا الملك. فضحك النبي ﷺ تعجبا وتصديقا ».

وثبت من حديث أنس رضي الله عنه أنه قال: كان النبي ﷺ يكثر من قوله:« **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** ». فقيل له يا رسول الله: أتخشى علينا، قد آمنا بك فقال: « **إن قلوب الخلائق بين إصبعين من أصابع الرحمن إن شاء هكذا وإن شاء هكذا** »[1].

وثبت أن الله عز وجل يقلبها كقلب رجل واحد وهذا كقوله تعالى: ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾[لقمان: ٢٨].

فالأصابع صفة ذاتية سمعية قائمة بذات الله المقدسة فلا تكييف ولا تعطيل، والعجب أن بعض المعطلة قال: « أن المعنى هو أن القلوب بين نعمتين »، فنقول أين هذا من حديث ابن مسعود رضي الله عنه السابق في الحبر ثم إن الرسول ﷺ خاف من تحول القلب من خير إلى شر، فهل يتصور أنه خاف من تحول قلبه من نعمة إلى أخرى.

وبعضهم قال بين قدرتين وهم المعتزلة وإخوانهم فعلى هذا يكون حديث

---

(١) الشريعة للأجري (٧٢٥) وهو بلفظ: « قلوب العباد... »، وعند أحمد في المسند (٢٦١٧٦).

الحبر السابق على خمس قدرات وهذا باطل عقلاً، ثم إن هذا القول يؤدي إلى أن دعاء الرسول ﷺ لا فائدة له وأن الرسول ﷺ يقول كلاما خلاف الحقيقة وحاشاه بأبي هو وأمي ﷺ ومن زعم أن قول ابن مسعود رضي الله عنه: تعجبا وتصديقا، هو ظنا منه أو أن ذلك سخرية بجهل اليهود فلا يصح لأمرين:

١- أن ابن مسعود رضي الله عنه أعلم بالمراد وأعرف بما ينقل.

٢- أنه لا يعقل أن يوصف الله تعالى وتقدس بما لا يليق به ثم يضحك الرسول ﷺ بعد ذلك.

وتزعم الأشاعرة أن الله يخلق خلقا كالإصبع فيجعل فوقه ما ذكر في حديث الحبر وهذا باطل وضلال وتأويل فاسد، فأين هم من حديث أنس السابق في الدعاء الوارد.

فقولهم هذا يؤدي إلى أن الأصابع في قول الرسول ﷺ : « **بين إصبعين من أصابع الرحمن** » مخلوقة؛ فيلزم أن صفات الرب مخلوقة.. تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

وورد في السنة عند مسلم رحمه الله، حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: « **ما تصدق أحد بصدقة من طيب – ولا يقبل الله إلا الطيب – إلا أخذها الرحمن بيمينه وإن كانت تمرة فتربو فى كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما**

يربى أحدكم فلوه أو فصيله »[1].

وصح عن ابن عباس رضي الله عنهما: « **ما السموات السبع والأرضون السبع وما فيهما في كف الرحمن إلا كخردة في كف أحدكم** ». ولا يتصور قول مثل هذا بمجرد الرأي.

وجاء عند البخاري رحمه الله من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال في حديث طويل: « **فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون فيقول الجبار: بقيت شفاعتي فيقبض قبضة من النار...** » الحديث.

فالخلاصة أن صفة اليد ثابتة في القران والسنة والإجماع في أكثر من مئة موضع وورد هذا اللفظ متصرفا ومتنوعا ومقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة فقد وصفت بالإمساك والطي والقبض والبسط والحثيات والخلق باليدين وغير ذلك ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤٣].

ويده تناسب ذاته العظيمة التي لا يحيط بكنهها شيء؛ وجاءت مفردة في ثمانية مواضع من القرآن ومثناة في ثلاثة مواضع وبصيغة الجمع في موضع واحد؛ والجمع بين ذلك كما قاله شيخنا ابن عثيمين رحمه الله: « أن المفرد المضاف يفيد العموم فلا يمنع التثنية. وفي صيغة الجمع أن يقال: أن أقله

---

(١) مسلم (٢٣٨٩).

اثنان. وعليه فلفظ أيدينا في القران. الذي في سورة (يس) لا يدل على أكثر من اثنين أو يقال أن المراد التعظيم »، ثم قال: « وليس المراد أن الله خلق الأنعام بيده بل المراد « بأيدينا » نفس الذات التي لها يد وفرق بين قوله: ﴿ عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾ [يس: ٧١] ، وقوله: ﴿ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥] ، فالأولى كأنه قال: مما عملنا لأن المراد ذات الله التي لها يد والمراد ﴿بِيَدَيَّ﴾: اليدان دون الذات. وقول الله ﷻ: ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ ﴾ [الذاريات: ٤٧] ؛ بمعنى: القوة. فهي مصدر آد: يئيد؛ أي: قوي. فلذا لم يضفه الله ﷻ إلى نفسه » ا هـ[١].

(١) بتصرف: شرح الواسطية.

قال المصنف:

١١ وَقُلْ يَنْزِلُ الجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلاَ كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ المُتَمَدِّحُ

١٢ إِلى طَبَقِ الدُّنْيَا يَمُنُّ بِفَضْلِهِ فَتُفْرَجُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَتُفْتَحُ

١٣ يَقُولُ أَلاَ مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِراً وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْراً وَرِزْقاً فَيُمْنَحُ

١٤ رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لاَ يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ أَلاَ خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا

الشرح:

يشير المصنف إلى صفة نزول الرب ﷻ وهي ثابتة لله تعالى في أحاديث متواترة رواها جمع كثير من الصحابة، مما يدل على أن الرسول ﷺ أخبر بذلك في أكثر من موطن، وهي صفة فعلية خبرية؛ فربنا ينزل حقيقة إلى السماء الدنيا نزولا يليق بجلاله وعظمته ولا يكون شيء أعلى منه قط لأنه القاهر فوق عباده.

وقد ثبتت هذه الصفة في حديث استفاضت به السنة واتفق عليه سلف الأمة وأهل العلم بالسنة. كما قال ذلك شيخ الإسلام رحمه الله؛ وقال: « واشتملت عليه كتب الإسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة ».

وهذا الحديث يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر: من يدعوني فأستجيب**

له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له »[١].

ومذهب الأئمة وأصحاب الحديث أن الله ينزل كيف شاء ومتى شاء ولا ينبغي الخوض في دقائق لم ترد في كتاب ولا سنة نحو هل يخلو العرش منه أم لا؟ أو هل ينزل بذاته أم لا؟ وغير ذلك فإنه ﷻ يفعل ما يشاء ولا يسأل عما يفعل، ولا عن كيف يفعل ومتى يفعل سبحانه وتقدس.

قال العلامة ابن عثيمين ﷺ: « إذا آمنت بأن الله ينزل، فلا تقل كيف؟ وكيف؟ بل قل: إذا كان ثلث الليل في السعودية فالله نازل، وإذا كان في أمريكا ثلث الليل يكون نزول الله أيضا، وإذا طلع الفجر انتهى وقت النزول في كل مكان بحسبه.. وقال: فأصحاب الرسول ﷺ ما قالوا هذه الاحتمالات أبدا.. وليس معنى النزول أن السماء تقله والسموات الأخرى تظله فهو لا يحيط به شيء؛ ينزل سبحانه وهو مستوٍ على عرشه عالٍ على خلقه ليس كمثله شيء »[٢]. اهـ بتصرف.

فائدة: بعض الروايات جاء فيها أنه ينزل في الثلث الأخير من الليل، وبعضها بعد مضي الثلث الأول وبعضها إذا مضى نصف الليل وبعضها في جوف الليل.

---

(١) مسلم (١٨٠٨).

(٢) شرح الواسطية.

فيقال: إن رواية الثلث الأخير هي أصح الروايات وهي رواية الزهري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه وهي المتفق عليها فلا إشكال في هذا الوقت، وهي لا تعارض رواية جوف الليل لأن هذه عامة والمتفق عليها وضحت المقصود من العموم.

أما رواية نصف الليل عند مسلم وثلث الليل الأول عند أصحاب السنن فالجمع بين المتفق عليها وهاتين الروايتين كما قال شيخ الإسلام رحمه الله: « أن كل ذلك صحيح، فجعل النزول على ثلاثة أنواع فأوله في الثلث الأول ثم أبلغ منه بعد نصف الليل ثم أجمله وأبهاه بعد الثلث الأخير من الليل ». والله أعلم.

ثم لتعلم أن الله تعالى وتقدس لا يقاس بخلقه له الكمال المطلق.. ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [آل عمران:٥٣].

وقول المصنف « **المُتَمَدِّحُ** »: يريد أن الله عز وجل يحب الثناء والمدح كما ورد في الحديث: « **ولا أحد أحب إليه المدحة من الله** »[(١)]، والحديث الآخر: « **أما إن ربك يحب الحمد** »[(٢)].

---

(١) البخاري (٤٦٣٧) بترتيب الفتح.

(٢) صحيح الأدب المفرد (٦٦٤/ ٨٥٩).

وقول المصنف « **طَبَقِ الدُّنْيَا** »: أي: سماء الدنيا.

وقوله: « **رَوَى ذَاكَ قَوْمٌ لاَ يُرَدُّ حَدِيثُهُمْ** »: يقصد أنه متواتر فقد ذكر ابن القيم أنهم ثمانية وعشرون صحابيا وقيل سبعة عشر صحابيا منهم: أبو هريرة وابن مسعود وابن عباس وعلي وأم سلمة وعائشة وغيرهم ﷺ.

ثم قال: « **أَلاَ خَابَ قَوْمٌ كَذَّبُوهُمْ وَقُبِّحُوا** » نعم فلا خير في أحد يرفض الحق الواضح البين، ويرد أخبار الشرع اتباعا لشياطينه، ويعني بذلك منكري الصفات من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

ولنعلم أن رحمة الله ومغفرته لا تخص بوقت دون وقت بل باب التوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها، ولكن وقت النزول الإلهي له زيادة فضل وشرف كالوقت الذي بين الأذان والإقامة وساعة الجمعة وعند نزول المطر ونحو ذلك من الأوقات التي خصه الدليل بزيادة فضل ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨].

أخي في الله: القنوت لله عند وقت النزول الإلهي مدح الله به المتقين ورغب فيه لمن يريد عليين، إنه مدرسة المخلصين وعدو المنافقين، إنه نور في الوجوه وانشراح في القلوب، وبهجة في النفوس، كابده ذوو العزيمة والإخبات، لأنه باب التزكية وشعار التضحية، وجهاد لا قتال فيه، تسكب في

محرابه العبرات، فالذنب لا يسقى إلا بدمع الأسحار، فتطلع شجرة أصلها ثابت وفرعها في السماء: ﴿ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم:٢٥].

وقول الناظم: « **أَلاَ مُسْتَغْفِرٌ يَلْقَ غَافِراً** »: إشارة إلى ما ورد في الحديث: «من يستغفرني فأغفر له».

وقوله: « **وَمُسْتَمْنِحٌ خَيْراً وَرِزْقاً فَيُمْنَحُ** »: إشارة إلى ما ورد في الحديث: «من يسألني فأعطيه». والمنْحُ هو العطاء والمستمنِح هو طالب العطاء.

قال المصنف:

١٥ **وَقُلْ: إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ بَعْدَ مُحَمَّدٍ وَزِيرَاهُ قِدْماً ثُمَّ عُثْمَانُ الارْجَحُ**

١٦ **وَرَابِعُهُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بِالخَيْرِ مُنْجِحُ**

١٧ **وَإِنَّهُمُ لَلرَّهْطُ لاَ رَيْبَ فيهمُ عَلَى نُجُبِ الْفِرْدَوْسِ بِالنُّورِ تَسْرَحُ**

١٨ **سَعِيدٌ وَسَعْدٌ وَابْنُ عَوْفٍ وَطَلْحَةُ وَعَامِرُ فِهْرٍ وَالزُّبَيْرُ المُمَدَّحُ**

١٩ **وَقُلْ خَيْرَ قَوْلٍ فِي الصّحَابَةِ كُلِّهِمْ وَلاَ تَكُ طَعَّاناً تَعِيبُ وَتَجْرَحُ**

٢٠ **فَقَدْ نَطَقَ الْوَحْيُ المُبِينُ بِفَضْلِهِمْ وَفِي الْفتْحِ آيٌ لِلصّحَابَةِ تَمْدَحُ**

الشرح:

في هذه الأبيات يذكر المصنف عقيدة أهل السنة والجماعة في أصحاب رسول الله ﷺ رضوان الله عليهم.

فقوله « **وَزِيرَاهُ** »: أي: أبو بكر وعمر والحديث الذي دل على أنهما وزيراه رواه الترمذي والحاكم ولا يخلو من مقال[1].

وثبت في فضلهما أحاديث نذكرها عند عرض المسائل..

وقوله « **الارْجَحُ** »: يشير إلى خلاف وقع بين الصحابة في عثمان وعلي

(١) الترمذي (٣٦٨٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.

رضي الله عنهما، لكن استقر رأي أهل السنة والجماعة بعد أن تولى عثمان رضي الله عنه الخلافة على تقديمه باتفاق الصحابة بعد ذلك.

وقوله « **طَعَّاناً** »: على وزن فعال ولا عبرة بالوزن بل المقصود النهي عن الطعن لأنه لا يراد به المبالغة، بل المراد النسبة، فقد ورد في الحديث: « **ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء** »[1].

أي: ليس المؤمن بذي طعن،وهذا كقوله تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: ٤٦].

ومن أهم المسائل في عقيدة أهل السنة والجماعة تجاه الصحابة:

أولاً: واجبنا نحوهم هو الترضي عنهم والاستغفار لهم وأن نحبهم بلا غلو ونعتقد أنهم أفضل العالمين بعد الأنبياء والمرسلين.. ونكف عما شجر بينهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[الحشر: ١٠]، فزلاتهم غفرت لهم ولا أحد يخلو من الزلل، ومن أحبهم فبحب الرسول ﷺ أحبهم.

---

(١) الترمذي (١٩٧٧) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

ثانيا: حكم سب الصحابة:

السب: كل كلام قبيح يوجب الإهانة والتنقص، وسب الصحابة دركات متفاوتة أعلاها ما يؤدي للكفر وأدناها أن يكون الساب مغتابا.

فمن أنواع ما يكون كفراً:

أ- أن يكون مستحلاً لسبهم فهو كافر، لأنه أباح أمراً مجمع على تحريمه.

قال رسول الله ﷺ: « **من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين** »[1].

فسبهم كبيرة من كبائر الذنوب، فكيف بمن استحله.

قال ابن تيمية رحمه الله: « استحلال سبهم إنكار لما علم تحريمه من الدين بالضرورة ومن ثم فهو خروج من الملة » وهذا يتأتى ولو لم يسبهم.

ب- أن يسب جميع الصحابة أو جمهورهم سبا يقدح في عدالتهم كمن يرميهم بالكفر والضلال.

يقول ابن تيمية رحمه الله: « وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلا لا يبلغون بضعة عشر نفساً أو أنهم فسقوا عامتهم فهذا لا ريب في كفره، بل من شك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين.. »، ثم ذكر

---

(١) رواه الطبراني انظر صحيح وضعيف الجامع الصغير (١١٢٣٠).

علة ذلك فقال: « لأنه مكذب لما نصه القرآن في غير موضع من الرضى والثناء عليهم »[١].

ج- أن يسب صحابيا تواترت النصوص بفضله فيكفر لأنه مكذب لها في حقيقة قوله قال الإمام مالك رحمه الله: « من شتم أحدا من أصحاب محمد ﷺ أبا بكر أو عمر أو عثمان أو معاوية أو عمرو بن العاص، فإن قال: كانوا على ضلال وكفر، قُتِل ».

أما من سب أصحاب الرسول ﷺ لغرض سياسي أو قبلي لا لهدف الدين والطعن في عدالتهم فالعلماء متفقون على تعزيره وفسقه ولكن اختلفوا هل يكفر أم لا؟

ويذكر ابن تيمية رحمه الله أن أقل أحواله: التعزير به وفسقه.

مسألة: من قذف إحدى أمهات المؤمنين: فيقال إن كانت عائشة رضي الله عنها فهو كافر بالإجماع، ومن قذف غيرها منهن فهو أيضا كافر على أصح الأقوال وهو قول الأكثرين لأن المقذوفة هي زوج رسول ﷺ، والله تعالى إنما غضب لعائشة رضي الله عنها لهذا السبب، فعائشة رضي الله عنها وغيرها من أمهاتنا سواء، وهذا أيضا طعن في عرض رسول الله ﷺ وأذية الرسول ﷺ كفر بالإجماع، فمن قذفهن

(١) الصارم المسلول ص ٥٨٦.

لعن في الدنيا والآخره.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: « ليس له توبة إلا أن يسلم إسلاما جديداً ».

مسألة: قول الرسول ﷺ: « **آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار** »[1].

المعنى: حبهم لنصرتهم للرسول ﷺ وإيمانهم وتعزيرهم إياه، فمن أحبهم لذلك فهو مؤمن ومن أبغضهم لإيمانهم ونصرتهم فهو منافق؛ أما بغضهم لأمر طارئ؛ كمعارضة أو لحدث وقع ففسق لأن الصحابة حدثت بينهم حروب ونزاعات ولم يحكم بعضهم على بعض بكفر أو نفاق، فالغيظ الذي يوجب الخروج من الملة ليس هو الغيظ الذي دون ذلك.

واعلم أن مذهب الفرقة الناجية أن أفضل الصحابة هم الخلفاء الراشدون وأفضلهم أبو بكر الصديق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي ذو السبطين ففي الصحيحين عن ابن عمر أنه قال: « كنا نفاضل على عهد الرسول ﷺ كنا نقول: أبو بكر ثم عمر ثم عثمان.. ».

قال شيخ الإسلام رحمه الله: وفي بعض الطرق « يبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره ».

---

(١) البخاري (١٧) بترتيب الفتح.

قال سفيان: « من فضل علياً على أبي بكر فقد أزرى بالمهاجرين، وما أرى أنه يصعد له إلى الله عمل وهو مقيم على ذلك ».

وروى الترمذي وأحمد وابن ماجه عن علي عن النبي ﷺ أنه قال: « **يا علي هذان – أبو بكر وعمر – سيدا كهول أهل الجنة من الأوليين والآخرين إلا النبيين والمرسلين** »[(١)].

وفي الصحيح أن محمد بن الحنيفية قال لأبيه: يا أبت من خير الناس من بعد رسول الله ﷺ ؟ قال: « يا بني، أو ما تعرف؟ قلت: لا. قال: أبو بكر. قلت ثم من؟ قال: عمر ».

قال شيخ الإسلام رحمه الله: « ويروى هذا عن علي من نحو ثمانين وجها وأنه كان يقول هذا على منبر الكوفة بل قال: لا أوتى بأحد يفضلني على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري ».

وأما عثمان رضي الله عنه فهو زوج بنتي رسول الله ﷺ وبايع عنه الرسول ﷺ يوم الحديبية، وقال له يوم العسرة: « **ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم** »[(٢)].

---

(١) الترمذي (٣٦٦٥) وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

(٢) الترمذي (٣٧٠١).

وشهد له بالجنة، وقال عنه عبد الرحمن بن عوف بعد موت عمر وبعد مشاورته كبار الصحابة وأمهات المؤمنين في اختيار الخليفة - قال عنه: رأيت الناس لا يعدلون بعثمان - وكانت الخلافة بين علي وعثمان. فاجتمع رأي الصحابة على تقديم عثمان على علي ﷺ.

وأما علي فمن أعلم الصحابة وفقهائهم نام على فراش رسول الله ﷺ يوم الهجرة قال له رسول الله ﷺ يوم تبوك: « **أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي** »[1]، وقال له يوم خيبر: « **لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه** »[2].

وقول المصنف « **الرَّهْطُ** »: هذا اللفظ اسم جمع لا واحد له من لفظه والرهط من الرجال دون العشرة يجمع على أرهط وأرهاط، وجمع الجمع أراهط.

« **والنُجُبِ** » هي: المراكب الكريمة السريعة.. فقد روى الترمذي وأحمد عن سليمان بن بريدة عن أبيه: أن رجلا سأل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هل في الجنة من خيل؟ فقال: « **إن الله أدخلك الجنة فلا تشاء أن تحمل** - فتركب: رواية أحمد - **فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت إلا**

---

(١) مسلم (٦٣٧٠).

(٢) البخاري (٢٩٤٢) بترقيم الفتح.

فعلت » قال: وسأله رجل فقال: يا رسول الله هل في الجنة من إبل؟ قال: « فلم يقل ما قال لصاحبه، فقال: « **يا عبد الله إن يدخلك الله الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك** »[(١)].

ثم ذكر المصنف باقي العشرة المبشرين بالجنة والذين روى حديثهم سعيد بن زيد ﷺ.. فقد أخرجه الخمسة وابن حبان وصححه الألباني واللفظ لأحمد أن الرسول ﷺ قال: « **النبي في الجنة وأبو بكر في الجنة وعمر في الجنة وعثمان في الجنة وعلي في الجنة وطلحة في الجنة والزبير في الجنة وعبد الرحمن بن عوف في الجنة وسعد في الجنة ولو شئت أن أسمي العاشر** ».

وفي رواية أن الناس صبحوه يناشدونه: مَن العاشر؟ فقال: « **ناشدتموني بالله، والله العظيم أنا** »[(٢)].

وهناك بعض الصحابة شهد لهم الرسول ﷺ أنهم في الجنة كبلال وعبد الله بن سلام وسعد بن معاذ وأمهات المؤمنين وأصحاب الشجرة؛ لما رواه مسلم عن جابر يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة ﷺ: « **لا يدخل النار إن شاء الله من أصحاب الشجرة أحدٌ، الذين**

---

(١) الترمذي (٢٥٤٣) قال بعضهم: سنده ضعيف لكن له شاهد يرتقي به إلى درجة الحسن.

(٢) المسند (١٦٢٩) وقال شعيب الأرناؤوط: إسناده صحيح.

بايعوا تحتها »[(١)].

والصحابة رضي الله عنهم خير الناس بعد المرسلين وقلوبهم أجل إيمانا وهم أنصح الأمة للمسلمين، وأعلم الأمة بالدين، فقد شهدوا الوحي والتنزيل ونصروا الإسلام بالحجة والسنان، فهم حصن الدين ونقلة الرسالة هجروا أوطانهم وضحوا بأرواحهم وأبدانهم.

بشرهم الله برضوانه فقال: ﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ٨٨ – ٨٩] وقال عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولقد أشاد القرآن بفضلهم ونطقت السنة بخيريتهم؛ فالطعن في واحد منهم طعن في عدالتهم كلهم بل هو طعن في الرسول ﷺ وصحبته لهم.. ولا يتوكأ على هذا الفكر الخبيث إلا زنديق مريد، ساءت طويته في الإسلام وأهله.

قال الإمام أحمد رحمه الله: « ومن انتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ أو أبغضه لحدث كان منه أو ذكر مساويه، كان مبتدعا حتى يترحم عليهم ويكون

(١) البخاري (٦٥٦٠) بترتيب الفتح.

قلبه لهم سليما ».

وكل حديث ورد في ذنب أحد من الصحابة فهو من اختلاق الزنادقة والروافض وكتبهم مليئة من ذلك فقد افتروا على الصحابة الأخيار، ورموهم بأشنع الأخبار يقول الرضوي الرافضي أحد أئمة الرافضة: « إن مما لا يختلف فيه اثنان ممن هم على وجه الأرض أن الثلاثة الذين هم في طليعة الصحابة (يعني: أبا بكر وعمر وعثمان) كانوا عبدة أوثان ».

فهل بعد هذا الضلال من ضلال.. وعقيدة الرافضة في الصحابة هي: أنهم يعتقدون بردتهم كلهم إلا قليلا منهم نسأل الله العافية.

ثم إن المصنف ذكر الخلفاء الراشدين وهم خير العشرة المبشرين بالجنة ثم ذكر باقي العشرة كما يلي:

الأول: سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف القرشي كنيته أبو إسحاق كان مجاب الدعوة لقول الرسول ﷺ : « **اللهم سدد سهمه وأجب دعوته** »[1] وفداه بأبيه وأمه، شهد بدرا وسائر المشاهد توفي سنة ٥٥هـ ودفن بالبقيع.

الثاني: سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل القرشي من بني عدي لم يشهد بدرا لأن الرسول ﷺ بعثه هو وطلحة في مهمة تجاه الشام وأجرى لهما أجرهما

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٠٨).

وضرب لهما بسهم.. كان سعيد يكنى بأبي الأعور توفي بالمدينة سنة ٥٠هـ.

الثالث: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد القرشي.. كنيته أبو محمد أسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم، جمع الهجرتين، شهد بدرا وسائر المشاهد وهو أحد الستة الذين جعل عمر رضي الله عنه الشورى فيهم وأخبر أن الرسول ﷺ مات وهو عنهم راضٍ.

ولم يصل الرسول ﷺ خلف أحدٍ غيره وقال عنه الرسول ﷺ: « **أنت أمين في أهل السماء، وأمين في أهل الأرض** »[1].

وكان أمين رسول الله ﷺ على نسائه، كثير النفقة عليهن بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وكان كثير المال لا يأكل إلا مع فقراء المسلمين وعبيده.. لما حضرته الوفاة بكا بكاءً شديداً وقال: إن مصعب بن عمير كان خيرا مني توفي على عهد الرسول ﷺ ولم يكن له ما يكفن فيه وإن حمزة بن عبد المطلب كان خيراً مني لم نجد له كفناً وإني أخشى أن أكون ممن عجلت له طيباته في حياته الدنيا وأخشى أن أحتبس عن أصحابي بكثرة مالي.

مات بالمدينة وصلى عليه وصيه عثمان ودفن بالبقيع رضي الله عنه .

---

(١) الحاكم في المستدرك (٥٣٥٤).

الرابع: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي، كنيته أبو محمد، ويلقب بطلحة الفياض، آخى الرسول ﷺ بينه وبين كعب بن مالك، لم يشهد بدرا كما سبق في خبر سعيد وشهد كل المشاهد، نظر إليه الرسول ﷺ فقال: «**من أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي على الأرض فلينظر إلى طلحة**»(١).

أراد أن يشارك يوم الجمل فذكّره علي رضي الله عنه ببعض سوابقه فرجع فجاءه سهم غائر فكان أول قتيل رضي الله عنه فمات وهو ابن ستين سنة عام الجمل.

الخامس: أبو عبيدة بن الجراح؛ اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح الحارثي القرشي، جمع الهجرتين، قال فيه الرسول ﷺ: « **لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح** »(٢).

بعثه الرسول ﷺ لأهل نجران ليعلمهم وتوفي رضي الله عنه في طاعون عمواس سنة ١٨هـ وعمره ٥٨سنة، وكان الصحابة يعرفون فضله وقدره قال له عمر: «كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة». وله فضائل جمة.

السادس: الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى ابن قصي القرشي، كنيته أبو عبد الله أمه صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله ﷺ.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١٤٠٣).

(٢) البخاري (٤٣٨٢) بترتيب الفتح.

أسلم وهو ابن ١٥سنة، شهد المشاهد كلها، وهو أول من سل سيفه في سبيل الله، قال فيه الرسول ﷺ: « **لكل نبي حواري وحواري الزبير** »[١]، جمع له الرسول ﷺ أبويه مرتين في أحد ويوم قريظة يقول له: « **ارم فداك أبي وأمي** ».

شهد الجمل فقاتل ساعة ثم ذكّره علي رضي الله عنه بقول رسول الله ﷺ: « **أما إنك ستقاتل عليا وأنت له ظالم** »[٢] فانصرف قافلا فاتبعه ابن جرموز فرآه الزبير وعلم أنه يريده فأقبل عليه فقال ابن جرموز: أذكرك الله. فكف عنه الزبير فأخذه اللعين على غرة فقتله فذهب برأسه إلى علي رضي الله عنه فلم يأذن له وقال: « **بشروا قاتل الزبير بالنار** ».

(١) البخاري (٧٢٦١) بترتيب الفتح.

(٢) الحاكم في المستدرك (٥٥٧٤).

قول المصنف:

٢١ وَبِالْقَدَرِ المَقْدُورِ أَيْقِنْ فَإِنَّهُ دِعَامَةُ عِقْدِ الدِّينِ، وَالدِّينُ أَفْيَحُ

الشرح:

يشير المصنف إلى أصل من أصول الإيمان، وركن من أركانه، التي لا يتم إيمان العبد إلا بالإتيان بها؛ وهي التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل الطويل عندما سأله جبريل عن الإيمان فقال: « **أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** »(١).

ولا نجاة من النار ولا قبول للطاعات بل لا يتم توحيد العبد حتى يحقق هذا الأصل العظيم ويؤمن بالقدر، وأن الله علم كل شيء وكتبه وشاءه وأوجده، يقول تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، ويقول: ﴿ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾[يس: ١٢] ، ويقول: ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴾[الفرقان: ٢].

وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة. قال: وعرشه على الماء** »(٢).

---

(١) مسلم (١٠٢).

(٢) مسلم (٦٩١٩).

وعن ابن عمر رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **كل شيء بقدر حتى العجز والكيس** »[١].

وجاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: « **القدر نظام التوحيد فمن وحد الله وكذب بالقدر فقد نقض تكذيبُه توحيدَه** ».

وقال أحمد: « القدر قدرة الله ».

وقال البغوي في (شرح السنة): « والقدر سر من أسرار الله تعالى لم يطلع عليه ملك مقرب ولا نبي مرسل، ولا يجوز الخوض فيه والبحث عنه بطريق العقل ».

فيجب الإيمان به وفق مراد الله وبيان رسوله ﷺ على فهم صحابته الكرام.

وقدرة الله الشاملة، وعلمه التام وخلقه لكل شيء وحكمته البالغة هي أصول الإيمان بالقدر والتسليم له.

وتؤمن أن الله قدر الطاعات وأسبابها وأحبها وأمر بها، وقدر الكفر والفسوق والعصيان وأسبابها وكرهها ونهى عنها.. ولا يتم إيمان العبد حتى يؤمن أن ما أخطأه لم يكن ليصيبه وما أصابه لم يكن ليخطئه وسنورد هنا مسائل:

الأولى: أنه دل على إثبات القدر الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة.

---

(١) مسلم (٦٩٢٢).

أما العقل: فإن الذي نظر إلى الخلق وتنظيم سيره وإحكام كيانه ليوقن أن أمور الخلق لا تجري عبثا ولا تسير في غير إتقان ولا تدبير، فدل ذلك على أن الأمور تدبر من لدن حكيم قدير ولا يتصور عاقل أن المقدورات في كونه لا تجري بقدر وتحت علمه ﷻ.

وأما الكتاب والسنة: فسبق بيان شيء من ذلك وهي متواترة وكثيرة جداً، ودليل واحد كاف لمن يريد الحق واتباعه.

الثانية: تعريف القدر: هو ما قدره الله في الأزل فهو يقع وفق تقديره في الوقت الذي أراده وليس هو علمه فقط بما سيكون فإن حصر القدر بالعلم لكل ما يقع من الأحداث يقول به القدرية أيضا.

الثالثة: رؤوس القدرية خمسة: ساسويه أخذ عنه معبد الجهني وأخذ عنه غيلان الدمشقي وأخذ عنه واصل بن عطاء وأخذ عنه عمر بن عبيد الزاهد والأخيران أسسا مذهب المعتزلة.

الرابعة: الإيمان بالقدر أمر عرفته الفطر وقرره العقل السليم لأنه يرجع إلى الربوبية ومن أشعار العرب قول عنترة:

يا عبلُ أين من المنية مهرب إن كان ربي في السماء قضاها

وقول لبيد قبل إسلامه:

إن المنايا لا تطيش سهامها

والعقل السليم يعلم أن الله مدبر الكون وخالقه وله ملكه وحده فكيف يقع فيه أمر لا يريده ولم يقدره.

ومن أقوال السلف:

قال ابن عقيل رحمه الله: « إنكار القدر يتضمن إنكار قدرة الرب على خلق أفعال العباد ».

وقال الحسن البصري رحمه الله: « من كذب بالقدر كذب بالإسلام ».

الخامسة:مراتب القدر؛ جمعها بعضهم:

علم كتابة مولانا مشيئته وخلقه وهو أيجاد وتكوين

١ - **العلم**: دليله: ﴿ **يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى** ﴾ [طه: ٧] ، وقوله تعالى: ﴿ **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ** ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية.

وفي صحيح مسلم قال ﷺ: « **ما منكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار** »[١].

ولم يخالف في هذه المرتبة إلا مجوس هذه الأمة وانقرض مذهبهم ولله الحمد.

---

(١) مسلم (٦٩٠٣).

٢- **الكتابة**: قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحج: ٧٠] ، وقوله: ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا ﴾[التوبة: ٥١].

ومن السنة حديث ابن عمرو رضي الله عنه السابق: « **كتب الله مقادير الخلائق قبل السموات والأرض بخمسين ألف سنة** ».

وفي الصحيح لما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: يارب وماذا أكتب؟.قال: « **اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة** »[(١)].

والكتابة أنواع:

أ- عامة في اللوح المحفوظ، ودل عليها حديث ابن عمر السابق[(٢)]، وهذه الكتابة لاتتبدل ولا تتغير.قال سبحانه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأنعام: ٣٨] ، وقوله: ﴿ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ ﴾ [ق: ٢٩].

ب - كتابة عمرية وهي التي يكتبها الملك عند نفخ الروح دل عليها حديث ابن مسعود المتفق عليه في ذكر تكوين الجنين[(٣)].

---

(١) الترمذي (٢١٥٥).

(٢) انظر صفحة (٦٧).

(٣) البخاري (٣٢٠٨).

ج – كتابة حولية؛ وهي التي تكون في ليلة القدر. قال تعالى: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان: ٤].

د – يومية ودليلها عند القائلين بها قوله تعالى: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن: ٢٩]، وهذه الآية لا تنص على الكتابة بل على التدبير اليومي، ولذلك فقد روي أن الرسول ﷺ قال فيها: « **من شأنه أن يغفر ذنبا ويفرج كربا، ويرفع قوما ويضع آخرين** »[١].

٣- **المشيئة**: ودليلها: ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾[الإنسان: ٣٠]، وقوله: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الأنعام: ٣٩].

ومن السنة الحديث السابق: « **إن قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يقلبها كيف يشاء** »[٢].

٤- **الخلق**: والمعنى أن الله خلق كل شيء بعد أن قدره وكتبه وشاءه فخلق العباد وما يعملون، قال ﷻ: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الرعد: ١٦] ، وقال الخليل: ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾[الصافات: ٩٦] ، والأدلة كثيرة جدا.

---

(١) ابن حبان (٦٨٩)، وقال الألباني: إسناده صحيح.

(٢) انظر صفحة (٤٥).

السادسة: مسائل في القدر:

أولا: كيف تجمع بين قوله: ﴿ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴾[البقرة: ٢٨٢]، وأمثالها وبين قوله: ﴿ لِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ [المائدة: ٩٤] التي وأمثالها ظاهرها تجدد علم الله بعد وقوع الفعل؟

اعلم أن الجمع من وجهين كما قال علماؤنا:

الأول: أن علم الله قبل وقوع الحدث غير علمه بعد الحدث فالأول علم بأنه سيقع والثاني بأنه وقع. ونظيره الإرادة فهناك إرادة سابقة وإرادة مقارنة للفعل نحو: ﴿ إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[يس:٨٢].

الثاني: أو أن يقال أن علمه الأول لا يترتب عليه عقاب بل هو صفة كماله وجلاله، أما العلم الذي رتب عليه الثواب والعقاب فلا يدل على ذلك بل هو أمر يتعلق بالثواب والعقاب والامتحان.. وعلى كل حال فالعباد ملك لله وتحت أمره إن عذبهم فبعدله وإن أكرمهم فبفضله ولا يظلم سبحانه أحدا.

ثانيا: هل الكتابة تتغير أم لا؟

الكتابة العامة في اللوح المحفوظ لا تتغير بدليل: ﴿ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾[الرعد: ٣٩] ، فهي لا يعلمها إلا الله ولا تتبدل كلماتها.

أما التي تتغير فهي التي في الصحف التي بأيدي الملائكة: ﴿ يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا

يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ ﴾ [الرعد: ٣٩] ، وقوله: ﴿ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾ [هود:١١٤]، وكذلك الأحاديث الدالة على إطالة عمر من وصل رحمه، وحديث: « **لا يرد القدر إلا الدعاء** »[١] – إن صح –.

ثالثا: هل الدعاء يرد القدر؟

القضاء والقدر الكوني في اللوح المحفوظ لا يرد بل إن الدعاء إذا وافق الإجابة ومنع القدر فإنه يكون من القدر؛ مثل الأسباب والعمل بها إن مضى أمرها فهي مقدرة وإن لم تفِ بالمقصود وتجلبه فهي من القدر، فالمرض مثلاً إن دعا الإنسان ورفع الدعاءُ المرضَ كان من القدر أن يرفعه الدعاء، وإن كان لا يرفعه فهو من القدر أيضا.

وقول الرسول ﷺ: « **من سره أن ينسأ له في أثره فليصل رحمه** »[٢]. فالأجل هنا لا يعلمه إلا الله فإن وصل رحمه كان في القدر أنه يتأخر أجله وإن لم يصل رحمه كان في القدر أن يتقدم ولا يعلم ذلك إلا الله.. ومعنى حديث: «**لا يرد القدر إلا الدعاء**» إن صح الحديث فمعناه: إذا كان هناك أمر يرد القدر فالدعاء هو أعظم تلك الأمور والأسباب فإن الدعاء من القدر..

---

(١) الترمذي من حديث سلمان برقم (٢١٣٩) وأحمد عن ثوبان برقم (٢٢٤٦٦).

(٢) مسلم (٦٦٨٧).

وبعض العلماء يرى أن الأجل أجلان والرزق رزقان والقدر قدران: مطلق ومعلق؛ فالذي في أيدي الملائكة معلق.

ومعنى الحديث: إن وصل رحمه زودته كذا وكذا.. والملك لا يعلم أيزداد أم لا والله يعلم مستقره وأجله، والدعاء عنده لا يرد القدر الكوني المطلق بل هو منه إنما له أثر في القدر المعلق.

وهذا التقسيم فيه نظر، إذ يلزم منه تردد علم الله في الأمر ونحن نعلم أن من قال بهذا من أهل السنة لا يقول بهذا اللازم والله منزه عن كل عيب والله أعلم.

رابعا:هل الإنسان مسير أم مخير؟

هذا استفهام حادث باطل لا حاجة للكلام فيه ونسأل من قاله: هل أنت مخير أم مسير عندما سألت؟.. فالأفعال مكتوبة والذي فعلها هو المخلوق فالرزق مكتوب والمرء يسعى له وكذا الولد مكتوب والرجل يسعى بالزواج ليرزق الولد.. وهكذا

خامسا:هل يجوز الاحتجاج بالقدر على الذنوب؟.

بالاتفاق لا يجوز هذا أبدا؛ وسوغ بعضهم ذلك لمن تاب صادقاً ثم عُيّر بذنبه، لأنه إن احتج به هنا فليس مراده محادة الله وأمره كما قال الله عن المشركين: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا ﴾[الأنعام: ١٤٨].

فلم يقبل الله حجتهم بل جعل ذلك تكذيباً منهم لأمره حتى ذاقوا بأسه، وأهل النار يقولون: ﴿ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك: ١٠]، وقولهم أيضا: ﴿ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ﴾ [المدثر: ٤٣] وأيضا: ﴿ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ ﴾[الزخرف: ٧٧].

فلو كان القدر حجة لهم لاحتجوا به ولكنهم ذكروا أمورا أخرى مع أنهم في أمس الحاجة لحجة يتشبثون بها.

وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِ ﴾[النساء: ١٦٥]. الآية

فلو كان يجوز الاحتجاج بالقدر لما أرسل الله الرسل وأنزل الكتب ولبقي الناس على القدر الأول.. « وما يعقل ذلك إلا الراشدون ».

ومن العقل أن القدر لا يعلمه إلا الله فكون العبد يفعله بجوارحه مختاراً ثم بعد ظهور القدر كيف يحتج به على ربه.. ثم إن الاحتجاج بالقدر على الذنوب يؤدي إلى تعطيل الشرائع ويقتضي أن مذاهب الكفار والمشركين صحيحة.. والله المستعان

سادسا:خلق أفعال العباد:

أفعالهم خلْقٌ لله وكسب للعبد، وللعبد مشيئة وإرادة لا تخرج عن إرادة الله ومشيئته الكونية.

وأئمة المسلمين من السلف الصالح والتابعين لهم بإحسان اتفقوا على ذلك من أنها مخلوقة.. وكان السلف أظهروا ذلك وتكلموا لما ظهرت فرقة « القدرية » الذين قالوا أنها غير مخلوقة بل العبد هو الذي يخلقها ويحدثها.. وجاءت الجبرية وغلو في الإثبات على خلاف القدرية التي غلت في النفي.. فالجبرية زعمت أن الله أجبر العباد على فعل الشرور وارتكاب المحرمات تعالى الله عن ذلك..

سابعا:كيف نرد على من احتج بحديث « **حج آدم موسى** »[1] على فعل المعاصي؟

الجواب: أن آدم فعل الذنب ثم تاب والتائب كمن لا ذنب له بل اجتباه ربه وهداه.. ولا يجوز أن يلوم موسى آدم على أمر تاب الله عليه فيه، بل مراد موسى لومه على المصيبة التي حصلت بفعله ولهذا قال: « أخرجتنا ونفسك من الجنة ».

---

(١) أخرجه أحمد (٧٣٨١).

فلذا صاغ لآدم أن يرد عليه فيغلبه بحجته .

فلذا لا حجة في الحديث لمن يستدل على فعل المعاصي..

ونقول لهم: أنتم تزعمون أن الله قدر عليكم المعصية فلماذا لا تفعلوا الطاعات وتدّعون ذلك..

ثامنا: ما حكم السؤال عن القدر من باب المكابرة؟

لا يجوز بل هو أمر فيه تنقيص لله تعالى ﷻ والله يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ، لكن إن أراد بذلك زيادة اللجوء إلى الله والتعلق به لأنه هو الذي يقلب القلوب، فلا بأس دون الخوض في جزئيات القدر..

فالرب لا يظلم أحدا، فهو سبحانه قائمٌ بالقسط يهدي بفضله ويضل بعدله ويعفو عن كثير بل يمهل ويدعو المعرضين تكرما ويناديهم لطفاً بهم ورأفة لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [النساء: ١] الآية.

والخلاصة: أن عقولنا قاصرة عن فهم جزئيات القدر فيجب التسليم والانقياد.. والله أعلم.

قال المصنف:

٢٢ وَلاَ تُنْكِرَنْ جَهْلاً نَكِيراً وَمُنْكَراً وَلاَ الحَوْضَ وَالْمِيزَانَ إِنَّكَ تُنْصَحُ

الشرح:

يخاطب المصنف صاحب المذهب السليم قائلاً له: إياك أن تنكر هذه الأمور لأن من أنكرها فقد خالف مذهب أهل السنة والجماعة.. وهذه الأمور تتعلق بالإيمان باليوم الآخر وهو على ضربين:

إيمان مجمل: بحيث يجب أن نؤمن به على وجه الإجمال دون شكٍ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[النساء: ١٣٦]، والآيات في ذلك كثرة كاثرة.

إيمان مفصل: هو الإيمان بكل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ من أمور الآخرة من بعد الموت حتى المستقر في إحدى الدارين (الجنة أو النار).

فنؤمن بأن الموت حق، لا يتقدم ولا يتأخر، ودلت عليه آيات كثيرة وأحاديث نبوية.. ثم نؤمن بالقبر وعذابه أو نعيمه.. وأن ما من نفس من الثقلين إلا وستفتن في قبرها سواء دفنت أم لا، ولا نخوض في أمور لا تعنينا بل نسلم ونقول سمعنا وأطعنا.. وعذاب القبر ونعيمه لا نعلم كيفيته فهو من باب علم الغيب الذي لا يقاس بعالم الشهادة بل كل أمور الآخرة كذلك لا

تتصور بعقولنا فالله على كل شيء قدير.

وعذاب القبر نوعان:

نوع دائم: وهو الذي في حق الكفار.

نوع منقطع: وقد يدوم حتى قيام الساعة وهو في حق بعض عصاة الموحدين الذين هم تحت المشيئة الإلهية كآكل الربا والزناة نسأل الله العافية..

واعلم أن عذاب القبر يكون للروح والبدن معاً باتفاق أهل السنة وكذا سؤال القبر يكون لهما لأن الروح تتعلق بالبدن تعلقا آخر غير الدنيا ولو طحن الجسد ومزق كما أن الروح حال النوم تتعلق بالبدن تعلقا آخر غير تعلقها حال اليقظة فتنبه لهذا الأمر..

بل إن الروح بعد البعث تتعلق بنفس الجسد الذي مزق أو أحرق حيث يعاد كما هو لكنه لا يقبل الفناء فتتعلق به تعلقا آخر غير تعلقها بصاحبها في حال الدنيا والبرزخ..

ويجب أن نؤمن أن الميت إذا قبر ترد له روحه ولا نسأل لو لم يقبر أو لو تأخر أياما أو أغرق ونحو ذلك.. بل نؤمن أنه يسأل وترد له روحه فيأتيانه ملكان أحدهما المنكر والآخر النكير، ولا ننكر ثبوت اسمهما كما تفعل المعطلة الذين يردون النقل بالعقل ويقولون لا تصح تسميتهما باسمين منكرين..

وهذا جهل وضلال وحقيقته رد كلام رسول الله ﷺ بالجهل فقد سمى الرسول ﷺ الملكين بهذا الاسم لأنهما يأتيان على صورة منكرة لم يعهدها الإنسان وليس فيها أنس للناظرين ويسميان « الفتانان » لأنهما يفتنان الناس في قبورهم..

والمعطلة أهل جدل وكلام فإنهم ليسوا أهل علم قال أبو يوسف: « العلم بالكلام جهل والجهل بالكلام علم ».

فعلى قولهم الباطل هذا لا يصح أن نسمي الملائكة التي تدفع الكفار إلى النار وتأخذهم زبانية ونرد ذلك بالعقل لأنهم ملائكة. والتحريف دين كل من حكم عقله واقتحم المهالك..

ثم أشار المصنف إلى أمور أخرى من أمور الآخرة فقد ذكر الحوض والميزان.. وقبل ذلك يجب أن نؤمن أن الله سيبعث الناس كما دل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والفطرة بل هو الأمر الذي أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم عليه في ثلاثة مواطن من القرآن فإنه سبحانه يبعثهم كما يحي الفلاة الجرداء بعد المطر فتصبح أرضاً خضراء من بذور لا تراها العين المجردة.. كذلك لا يبقى من الإنسان إلا عجب الذنب وهو لا يرى بالعين المجردة، حين يرسل الله ماء كمني الرجال يبعثون منه في قبورهم ثم ينفخ في الصور فترد عليهم أرواحهم لتتعلق بها تعلقا آخر غير تعلق حياة البرزخ.. فتنشق عنهم الأرض

فيخرجون منها ليروا مشاهد الآخرة.. فيخرجون بأجساد عارية حافية متجردين غير مختونين على حال خلقهم الأول.. فيبدأ مشهد الحشر حيث يحشرون في صور شتى على أرض بيضاء عفراء ليس فيها معلم لأحد، ولم يسفك عليها دم حرام، ولم يعمل عليها خطيئة، فيحشر الله الناس على أصناف فمنهم من يحشر ملبياً ومنهم من يحشر أمثال الذر وهم المتكبرون، والشهيد يحشر على حالته اللون لون الدم والريح ريح المسك وكذلك خروجهم من قبورهم لحديث: « **يبعث العباد على ما ماتوا عليه** ».

بل جاءت بعض النصوص أن كل عبد يبعث في ثيابه التي مات فيها لما رواه الحاكم وأبو داوود وابن حبان عن أبي سعيد الخدري أنه لما حضره الموت دعا بثياب جدد، فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها** » صححه الحاكم ووافقه الذهبي والألباني.

ولعل هذا قبل أن يوافون الموقف لأحاديث أخر.

ثم بعد ذلك يكونون بعرصات القيامة وهم حفاة عراة غرلاً بهما، فيكسون وأول من يكسى الخليل ﷺ لتجرده في ذات الله ثم سيد الأولين والآخرين نبينا محمد ﷺ حيث يكسى حلة أجمل وأبهى من حلة الخليل ﷺ لجبر مقام السبق، ثم يكسى الصالحون الأمثل فالأمثل كلا بحسب عمله ودرجته..

نسأل الله أن يكسوَ المسلمين من الحلل ما تبتهج به نفوسهم في ذلك الوقت.

وسأعرض مشاهد الآخرة وأذكر أدلة كل مشهد باختصار وإيجاز ولا يعني سردها ترتيب حدوثها وبالله التوفيق:

المشهد الأول: العرض والحساب.

يبدأ العرض على الله في ثلاث عرضات.

عرضتان جدال ومعاذير، وعرضة تتطاير فيها الصحف كما روى ذلك الترمذي والبيهقي بسند حسنه ابن حجر في الفتح..

وقد ثبت العرض على الله بالكتاب والسنة.. وقبل ذلك يجب أن نعلم أن العرض يختلف بين الكفار والموحدين وعلى ذلك ينقسم العرض إلى نوعين:

عرض توبيخ وتبكيت:

وهذا يكون جملة لا عرض نقاش وحساب للسيئات والحسنات.. وهو خاص بالكفار يقول الله تعالى: ﴿ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا ﴾[الكهف:٤٨] الآية. وقال: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾[هود:١٨].

وفي حديث ابن عمر: « **وأما الكفار والمنافقون فينادى بهم على رؤوس الخلائق: هؤلاء الذين كذبوا على الله ألا لعنة الله على الظالمين** ».

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأما الكفار فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم فتحصى فيوقفون عليها».

ولا يتعارض هذا مع ما ثبت في الصحيح أن العبد المنافق يلقى ربه فيقول: « آمنت بك وبرسولك وبكتابك وصليت وصمت وتصدقت ثم يقيم عليه شاهداً من بدنه... » الحديث.

فإن الرسول ﷺ أخبر أن هذا هو المنافق والمنافقون يكونون مع المسلمين في حشرهم وحسابهم وورودهم على الجسر أما الكفار فلا تتصور منهم أن يقولوا ذلك.. ثم لو فرضنا أنه قصد به الكفار فلا يعارض الأمر المجمل فربما تكون لأفراد من الكفار زيادة في التبكيت والتوبيخ.. وعرض التوبيخ يكون جملة للكفار وهم صفوف أذلاء خاشعين من الذل ترهقهم ذلة فيكون عرض اللقاء لفعل بعض أفرادهم لا ينافيه.. والله أعلم.

عرض الحسنات والسيئات:

وهذا خاص بالموحدين، قال تعالى: ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾ [الحاقة: ١٨]، ثم قال: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الحاقة: ١٩] ، وقال في سورة الانشقاق: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ [الانشقاق: ٧ – ٨].

فهما تدلان على نوعي العرض وحساب الموحدين يكون على قسمين:

حساب يسير: للمؤمنين دون نقاش وتحري لكل السيئات بل يكون عرضا فيه تقرير ببعض الذنوب حتى يحس المؤمن بفضل الله عليه وعظيم مغفرته فقد ثبت في الحديث أن الله بعد ذلك يقول له: « سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم فيعطى كتاب حسناته ».

قال القرطبي: « إن الحساب المذكور في الآية - أي: آية الانشقاق: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ - إنما هو أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف منة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه في الآخرة ».

حساب عسير: وهو المقصود في قوله ﷺ في حديث عائشة المتفق عليه: أن الرسول ﷺ قال: « **ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك** »، فقرأتْ عليه عائشة رضي الله عنها قوله تعالى: ﴿ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ - لأنه حدث عندها إشكال - فقال لها رسول الله ﷺ مبيناً لها: « **إنما ذلك العرض وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا هلك** ».

وقوله: « **نوقش الحساب** » بمعنى: استُقْصِي عليه.

وهناك صنف من الناس لا يحاسبون ولا يعذبون وهم الذين عناهم الرسول ﷺ في حديث ابن عباس رضي الله عنهما بقوله ﷺ: « **هم الذين لا يسترقون**

ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون ». وروي عند مسلم أن مع كل واحد منهم سبعون ألفا.

وتشمل المحاسبة البهائم لكنه ليس حساب تكليف وإلزام بل هو حساب قصاص ودل عليه حديث مسلم أن الرسول ﷺ قال: « **أنه يقتص للشاة الجلحاء من الشاة القرناء** ». ثم تجمع العجماوات فتصبح ترابا وعندها يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا﴾ [النبأ: ٤٠].

وليعلم العبد أن الحساب أمر غيبي.. نؤمن به ولا نمثل حساب الخالق لخلقه بحساب الخلق بعضهم لبعض أو بحساب الملوك لرعاياهم.. فإن أمر الله لا يماثله شيء بل هو سريع الحساب سبحانه.. يقضي بينهم بالحق كلمح البصر ولا يثقله ذلك عز جاهه..

واعلم أن السلف كانوا يحاسبون أنفسهم على كل صغيرة فقد كان الأحنف بن قيس رحمه الله: يضع إصبعه في المصباح ثم يقول: حس يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا..

قال الحسن رحمه الله: « إنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا ».

ولقد سمع أعرابي سورة الزلزلة فقال: إنه لحساب عظيم واثكل أماه.

وكان عمر رضي الله عنه يقول: « **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا** ».

المشهد الثاني: الحوض.

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴾ [الكوثر:١] حيث فسره الرسول ﷺ بأنه نهر عظيم في الجنة خصه الله به، يصب منه ميزابان في حوضه.. ومن السنة أحاديث بلغت حد التواتر ذكر بعضهم أنها رويت عن خمسين صحابياً.

صفته: أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وريحه أطيب من ريح المسك، من يشرب منه شربة واحدة لا يظمأ بعدها أبدا، عدد آنيته كعدد نجوم السماء بل هي مثلها في النور والبهاء، طوله شهر وعرضه شهر وزواياه سواء.

زمنه: قيل أنه يكون قبل العبور على الصراط لما رواه عبد الله ابن أحمد في زياداته عن أبي رزين وعزاه الحافظ في الفتح للطبراني والحاكم ثم قال: « هو صريح أن الحوض قبل الصراط ».

ويجب أن نؤمن بأنه موجود الآن لرواية: « **وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن** » وهي رواية متفق عليها.

قول الرسول ﷺ : « **ومنبري على حوضي** » يحتمل معنيين:

ـ أنه حقيقة يكون في نفس المكان الآن لكنه لا يشاهد لأنه أمر غيبي.

ـ أن المنبر يؤتى به يوم القيامة فيوضع على الحوض وهذا أقرب.

هل لكل نبي حوض أما لا؟

الصحيح أن لكل نبي حوض لأمرين:

الأمر الأول: لما ثبت في الحديث الذي رواه الترمذي وابن أبي عاصم في السنة وصححه الألباني أن الرسول ﷺ قال: « **أن لكل نبي حوض** ».

الأمر الثاني: حتى ينتفع المؤمنون بكل الأنبياء.. لكن يجب أن نعلم أن للرسول ﷺ أعظمها وأجلها وأكثرها واردا.

واعلم أن هذا الحوض يَرِدُه المؤمنون المتبعون لشريعة الله ﷻ أما من استكبر فإنه يطرد عنه ويذاد عنه لحديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها، أن الرسول ﷺ قال: « **إني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يا رب مني ومن أمتي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم** ».

وبعضهم يرى أن المقصود بهم الذين ارتدوا بعد وفاته ﷺ وماتوا على ذلك وإن قيل به فالمنع والبعد بحسب ما يقوم في المسلم من الابتداع والله أعلم.

المشهد الثالث: الميزان.

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع.. قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾[الأنبياء: ٤٧]، وقال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾[القارعة: ٦ – ٧]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ﴾ [الأعراف: ٨].

ومن السنة أحاديث كثيرة بلغت حد التواتر بل دلت على أنه حقيقي له كفتان محسوستان من ذلك حديث صاحب البطاقة الذي أخرجه الترمذي وابن ماجه وغيرهما.. وحديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عند ذكر وصية نوح ﷺ لابنيه؛ أخرجه أحمد والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، وقد أخرج الحاكم عن سلمان عن الرسول ﷺ أنه قال: « **يوضع الميزان يوم القيامة فلو وزن فيه السموات والأرض لوزنت فتقول الملائكة: يا رب لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئت من خلقي. فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك** » صححه الألباني.

ويرى القرطبي أنه بعد المحاسبة لأنه للجزاء وأما المحاسبة فلتقدير الأعمال بخلاف الوزن فهو لإظهار مقاديرها.

فنؤمن بأن الميزان حق وحسابه دقيق لا يزيد ولا ينقص ولا نخوض في

كيفيته بل يزن العباد كلهم في طرفة عين لأن أمر الله كلمح البصر.

مسألة: كيف الجمع بين النصوص الواردة بصيغة الجمع وبين النصوص الواردة بالإفراد؟

قال ابن كثير ﷺ: « والأكثر على أنه ميزان واحد وأنه جمع باعتبار تعدد الموزون ».

وقال بعضهم الجمع باعتبار أن لكل نوع من الأعمال ميزان والإفراد جاء على وجه خاص بذلك قوله ﷺ: « **ثقيلتان في الميزان** » فهو خاص بأعمال اللسان.

وقيل أن لكل واحد من المكلفين ميزان والله أعلم.

ثم إن بعض النصوص دلت على وزن الأعمال وبعضها دلت على وزن الصحف وبعضها دلت على وزن الأشخاص.

وهذا يدل على أن العباد لا يستطيعون تكييف الميزان لأنه عظيم.

فنقول إن أمر الله عظيم يفعل ما يشاء لكن يجب التنبيه على أن العبرة عند الوزن في الثقل والخفة بالأعمال لا بالصحف ولا بالأشخاص فالعبرة بالأعمال حتى لو وزن الشخص أو صحيفته..

وليعلم العبد أن الله لا يحتاج لذلك لكنه سبحانه لا أحد أحب إليه العذر

منه ولإظهار كمال عدله يومئذ ولحكم أخرى. ثم إنه ذكر ذلك لهم في الدنيا امتحاناً لإيمانهم لأنه أمر غيبي فالمكلف يؤمن بذلك ويؤمن بأن الله لا يحتاج له لكمال علمه وعظم غناه فالمعتزلة خابوا وخسروا عندما ردوا ذلك وأولوا النصوص وقالوا: لا يحتاج للميزان إلا البقّال. ظناً منهم أن ذلك تنزيه لله ﷻ.. فهم كعادتهم يتوهمون التمثيل ثم يؤولون أو يردون.. وقالوا: الميزان المراد به العدل أو القسط.. فنقول: لو أراد الشرع ذلك لما عدل عن لفظ العدل إلى الميزان لأن العدل أحب إلى النفس من لفظ الميزان قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ﴾ [النحل: ٩٠] ، ثم إن القول بغير ظاهر اللفظ يحتاج إلى دليل وقرينه بل ذلك يخالف النصوص التي أثبتت الكفتين..

وعند وضع الميزان ينسى الصديق صديقه والقرين قرينه والحبيب حبيبه فقد روى أبو داود عن عائشة ﵂ قالت: ذكرتُ النار فبكيت فقال رسول الله ﷺ: « **ما يبكيك** » قلت: ذكرت النار، فبكيت: فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ قال: « **أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدا..** » ثم ذكر منها: عند الميزان..

وليس هناك أثقل في الميزان من التقوى وحسن الخلق، ولو أن لا اله إلا الله وضعت في كفة، والسماوات السبع وعامرهن غير الله والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله، والحمد لله تملأ الميزان.. بل إن المؤمن ثقيل

عند الله بعمله ولو كان رقيق البدن والله أعلم.

المشهد الرابع: الصراط.

ثبت بالكتاب والسنة والإجماع: أما الكتاب فقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١]. روى الإمام أحمد عن ابن مسعود ﷺ أن الرسول ﷺ قال: «**يرِدُ الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم**».

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال: « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم ». والقسم هو قوله تعالى: ﴿كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾؛ قال ابن مسعود ﷺ: قسما واجبا.

وعن أم مبشر أنها سمعت الرسول ﷺ يقول عند حفصة ﷺ: « **لا يدخل الجنة – إن شاء الله – من أصحاب الشجرة أحدٌ الذين بايعوا تحتها** » قالت: « بلى يا رسول الله »، فانتهرها. فقالت حفصة: « وإن منكم إلا واردها » فقال النبي ﷺ: « **قد قال الله** ﷻ: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ [مريم: ٧٢] »[1].

---

(١) انظر صفحة (٦١).

واختلف المفسرون في المراد بالورود هنا والأظهر والله أعلم أن هذه الكلمة معناها العبور على الصراط وهو يقتضي دخولها أيضا فلا منافاة بين من قال أن معناه دخولها وبين من قال أن معناه المرور على الصراط وابن عباس رضي الله عنهما يقول أن معناه دخول النار مستدلا بكل آية جاء فيها « ورد » بمعنى: « دخل ». كقوله: ﴿ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله: ﴿ لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

وعلى كل فمن الأدلة الثابتة ما رواه مسلم أن الرسول ﷺ قال: « **نحن يوم القيامة على كوم فوق الناس فيدعى بالأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا ﷻ بعد ذلك فيقول: ما تنتظرون، فيقولون: ننتظر ربنا ﷻ فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليه، قال: فيتجلى لهم ﷻ وهو يضحك ويعطي كل إنسان منهم منافق ومؤمن نورا، وتغشاه ظلمة، ثم يتبعونه منهم المنافقون على جسر جهنم، فيه كلاليب وحسك يأخذون من شاء ثم يطفأ نور المنافقين وينجو المؤمنون، فينجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر...** » الحديث.

وصفة الصراط أنه ممر مخوف مرعب مظلم، أحدّ من السيف وأدق من الشعر، دحض مزلة، على جوانبه خطاطيف يمر عليه العباد وأول من يمر هو

الرسول ﷺ لشرفه وعلو مقامه ثم أمته من بعده وأولهم فقراء المهاجرين: ولن يدخل أحد الجنة حتى يمر عليه.. ولقد كان عمر الفاروق رضي الله عنه إذا قرأ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] بكى ثم يقول: رب أنا ممن تنجي أم ممن تذر جثيا؟ هذا الفاروق الذي بشر بالجنان، فما بالنا نحن الذين أغرقتنا الذنوب..

فاللهم سلم سلم..

قال أحدهم:

أمامي موقف قدام ربي يسائلني وينكشف الغطاء
وحسبي أن أمر على صراط كحد السف أسفله لظاء

وروي أن عبد الله بن رواحة رضي الله عنه بكى لما أراد الخروج إلى مؤتة فبكى أهله حين رأوه يبكي رضي الله عنه فقال: « والله ما بكيت جزعا من الموت، ولا صبابة لكم، ولكني بكيت من قول الله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ٧١] ، فأيقنت أني واردها ولم أدر أأنجو منها أم لا »[1].

(١) ذكره الذهبي في السير.

قال المصنف:

٢٣ وَقُلْ يُخْرِجُ اللهُ الْعَظِيمُ بِفَضْلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَاداً مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٢٤ عَلَى النَّهْرِ فِي الْفِرْدَوْسِ تَحْيَا بِمَائِهِ كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ إِذْ جَاءَ يَطْفَحُ

الشرح:

هذان البيتان يشيران إلى مسألة وهي: « القول في عصاة أهل التوحيد »؛ فقد تواترت الأحاديث أن عصاة أهل التوحيد لا يخلدون في النار أبدا بل يخرجون قطعا منها إن دخلوها، فهم قبل ذلك تحت المشيئة.. إن شاء الله عذبهم وإن شاء غفر لهم؛ وهذا معتقد أهل السنة والجماعة: أن المسلم الذي يفعل الكبائر وحكم عليه من الله بدخول النار أنه يُرَدّ إلى الجنة قطعا إن مات على التوحيد فالأحاديث في ذلك كثيرة كقول الرسول ﷺ في حديث عبادة رضي الله عنه: « **أدخله الله الجنة على ما كان من العمل** »[١].

وحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: « **من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة** »[٢].

وحديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ: « **ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب**

---

(١) البخاري (٣٤٣٥).

(٢) مسلم (٩٣).

أصابوها عقوبة ثم يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته يقال لهم: الجهنميون »[١].

وحديث جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ: « **يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا فيها حُمَماً ثم تدركهم الرحمة فيخرجون، ويطرحون على أبواب الجنة، قال: فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبتون كما ينبت الغثاء في حمالة السيل، ثم يدخلون الجنة** »[٢].

وفي حديث أبي هريرة المتفق عليه: « **كما تنبت الحبة في حميل السيل** ».

فعصاة أهل التوحيد إن دخلوا النار يتفاوتون في العذاب فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى ثدييه وهكذا إلا أن الله حرم على النار أن تأكل موضع السجود لشرفه وهذا يدل على عظم فضل الإكثار من الصلاة.

وقول المصنف: « **يُخْرِجُ اللهُ** »: الخروج من النار يكون بالشفاعة حيث يشفع الأنبياء والصالحون والملائكة فيأذن الله لهم فيخرجون من النار من كان في قلبه مثقال دينار أو نصف دينار أو ذرة من خير حتى يخرجون خلقا كثيرا ثم يقول المولى عز وجل: « **شفعة الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا**

---

(١) البخاري (٧٤٥٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٥١٩٨) والترمذي وصححه العلامة الألباني رحمه الله.

أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيراً قط »[1].

وكونهم لم يعملوا خيراً قط، أي: من صالح الأعمال مع اشتراط تجنب الشرك جمعا بين الأدلة.

وبقاؤهم في النار يختلف بحسب حسابهم الذي أراده الله ﷻ.. فمنهم من يمكث يوما أو أقل ومنهم من يمكث شهراً ومنهم عاماً وأسأل الله كما مَنّ على المسلمين بالإسلام دون أن يسألوه أن يمن عليهم بالعتق من النار وأن يرحمهم رحمة يغبطهم عليها الكفار يوم القيامة إنه أرحم من سئل وخير من غفر.

وقول المصنف: « **كَحِبِّ حَمِيلِ السَّيْلِ** »؛ بكسر الحاء هي: الحشائش التي تنبت حول السيل مما لا يقتاته الناس، فتحيا حوله في جوانبه.

وقوله: « **يَطْفَحُ** »؛ يقال:طفح يطفح طفحاً وطفوحاً إذا امتلأ وارتفع حتى يفيض.

وذكر المصنف اسم الفردوس من إطلاق الجزء وإرادة الكل ضرب من المجاز المرسل ويريد به الجنة وهذا الاسم ورد في السنة في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **إذا سألتم الله الجنة فاسألوه الفردوس فإنه أعلى الجنة ووسط الجنة وفوقه عرش الرحمن** ».

---

(١) البخاري (٧٤٣٩) من حديث أبي سعيد الخدري.

قال المصنف:

٢٥ وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ وقُلْ فِي عَذابِ القَبْرِ حَقّ موُضحُ

الشرح:

يشير المصنف رحمه الله إلى مسالة الشفاعة العظمى وهي التي خص الله بها سيد الأولين والآخرين ﷺ وهذه الشفاعة لم ينكرها أحد من الخوارج والمعتزلة لأنها لا تتعلق بحكم مرتكب الكبيرة وليست شفاعة في دخول الجنة أو النجاة من النار.. لذا لم يخالفوا فيها حيث أنها للفصل بين العباد ومحاسبتهم.. فقد ثبتت بأحاديث متواترة وذكرها المصنف إشارة إلى أن من أثبت هذه الشفاعة فلزاماً عليه أن يثبت الشفاعات الأخرى الثابتة كذلك إذ لا فرق في الثبوت بين أنواع الشفاعات لأن المصدر واحد.

وفي ذلك أيضا تمهيداً لذكر مبدأ منكري الشفاعات الأخرى كالخوارج والمرجئة.

واعلم أن الشفاعة على نوعين:

منفية: وهي التي نفاها القرآن، والتي يتعلق بها المشركون وهي الشفاعة الباطلة قال تعالى: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ﴾ [الزمر: ٤٣] ، وقال: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا

عِندَ ٱللَّهِ ﴾[يونس: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ: ٢٣] وغيرها كثير.

المثبتة: هي التي أثبتها الشرع ولها ثلاثة شروط لا بد من توفرها جمعها قوله سبحانه: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾[النجم: ٢٦].

قال المصنف:

٢٦ وَلاَ تُكْفِرَنْ أَهْلَ الصَّلاةِ وَإِنْ عَصَوْا فَكُلُّهُمُ يَعْصِي وذُو العَرْشِ يَصْفَحُ

٢٧ وَلاَ تَعْتَقِدْ رَأْيَ الخَوَارِجِ إِنَّهُ مَقَالٌ لِمَنْ يَهْوَاهُ يُرْدِي وَيَفْضَحُ

٢٨ وَلاَ تَكُ مُرْجِيًّا لَعُوباً بِدِينِهِ أَلاَ إِنَّمَا المُرْجِيُّ بِالدِّينِ يَمْزَحُ

الشرح:

يشير المصنف إلى مسألة: « حكم مرتكب الكبيرة » وقبل ذلك نريد أن نوضح أموراً هامة:

إن أول بدعة خرجت في الأمة هي بدعة الخوارج في أواخر خلافة عثمان رضي الله عنه ، ثم حدثت بدعة القدرية مجوس هذه الأمة، ثم حدثت بدعة الإرجاء - التي هي فرع من الخوارج خرجت مضادةً لهم - ثم جاء قوم يدعون أن العقل مقدم على الوحي حتى ظهرت فرقة الجهمية.. فتأمل كيف تدرجت البدع

﴿ ظُلُمَٰتُۢ بَعۡضُهَا فَوۡقَ بَعۡضٍ ﴾[النور: ٤٠].

واعلم أن أهل السنة والجماعة لا يكفرون أحداً من المسلمين، لأن التكفير حكم شرعي، يفتقر إلى الدليل السمعي القطعي الذي لا نزاع فيه تحت الضوابط الشرعية المعتبرة القائمة على الكتاب والسنة ونهج سلف الأمة بعد

توافر الشروط وانتفاء الموانع. لكنهم يطلقون القول في التكفير فيقولون من قال أو فعل كفراً فقد كفر، ولكن الشخص المعين الذي تلبس بالقول أو الفعل لا يحكمون بكفره إطلاقا حتى تجتمع فيه الشروط وتنتفي عنه الموانع، فمن كان كذلك حكموا بتكفيره ظاهراً وأمره إلى الله ولا يترددون في ذلك فلا إفراط ولا تفريط، وهذا في الأمور التي توجب لفاعلها أو قائلها الخروج من الملة كنواقض الإسلام العشرة..

أما مرتكب الكبيرة فأهل السنة يرون أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ويخشى على المسيء ويرجى للمحسن.. فلا يكفرون المسلم ولو فعل كل الكبائر.. وهذا هو معتقد الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، معتقد الفرقة الناجية، بل لا يرون خلوده في النار وهو تحت المشيئة قبل ذلك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فانظر كيف جعل مرتكب الكبيرة « القتل » من المؤمنين، ثم سمى المقتول أخا للقاتل حيث قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فالأخوة هنا بلا ريب هي أخوة الإسلام وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًا﴾[الحجرات:١٢] الآية.

ولا شك أنه جعل المغتاب من المؤمنين فلا يزول مسمى الإيمان حتى

يزول أصله بناقض له كما بينا لك.. ثم إن المعاصي دركات بعضه يناقض أصل الإيمان وبعضها ينافي الإيمان الواجب وبعضها من الصغائر قال تعالى: ﴿ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ﴾ [الحجرات: ٧] ، ففرق سبحانه بين هذه الثلاثة وإلا لم يكن للعطف فائدة.

فتبين أن الكفر ذو شعب متعددة ومراتب مختلفة.. والمعاصي كلها من شعب الكفر لكن منها ما يوجب الخروج من الملة، ومنها ما لا يوجب ذلك. وقد يجتمع إيمان وكفر غير ناقل عن الملة في الشخص الواحد لحديث: «**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**» فالكفر عندئذ ينقسم إلى قسمين:

١. كفر اعتقادي: كالجحود.

٢. وكفر عمل: وهو ضربان:

أ. مخرج من الملة: كالسجود للصنم.

ب. ما لا يخرج من الملة: وسماه الشرع؛ كفرا كقتال المسلم.

وأهل السنة خالفهم في ذلك مذهبان باطلان.

الأول: مذهب الخوارج.

و**الثاني**: مذهب المرجئة.

وسبب هذا الخلاف جهلهم بنصوص الشرع ونظرهم الأعور تجاه النصوص وكل منهم نسي حظًّا مما ذكر به وغلا في الجانب المضاد للآخر.

فالخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة ويحكمون عليه بالخلود في النار أما المرجئة فيرون أنه كامل الإيمان لا تضر عندهم مع الإيمان معصية.. فلذا حذر المصنف منهما أما الخوارج فقوم أخذوا بظواهر النصوص، والنظرة العابرة، وجهلوا مقاصد الشريعة، ولهثوا وراء نتفا من العلم غير متماسك ولا مترابط، فاعتنوا بما يرونه طافيا على سطح الماء، فيأخذون ببعض جزئيات الشرع، ويتركون كلياتها فيتخبطون خبط عشواء، وهذا المبدأ أثمر التنطع في الدين والغلو الذي قاد زمامه الخوارج دعاةُ الاختلاف في كل عصر حتى يخرج في أعراضهم الدجال، قال ﷺ: « **ينشأ نشء يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم كلما خرج قرن قُطِع حتى يخرج في أعراضهم الدجال** »(١).

وفي الصحيحين عن علي رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله**

(١) ابن ماجة (١٧٠) وصححه الألباني.

يوم القيامة » وفي رواية: « **يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان** »[١].

يقول ابن القيم رحمه الله: « صحة الفهم وحسن القصد من أعظم نعم الله التي أنعم بها على عبده »[٢].

والخوارج لم يُؤتوا فهما ولا حسن قصدٍ.. وكان السلف حريصين على الفهم.. ففي كتاب عمر لأبي موسى رضي الله عنهما: « والفهمَ الفهمَ فيما أدلي إليك ».

وتأمل فهم ابن عباس رضي الله عنه عندما سأله عمر رضي الله عنه ومن حضر من أهل بدر عن المقصود من سورة النصر.. فقد خص الله ابن عباس رضي الله عنه مع أنه أحدثهم سنا بمعرفة وفهم المقصود من السورة وقد خفي على غيره من الصحابة الكبار حيث قال ابن عباس رضي الله عنه: إنها نعيُ الله سبحانه نبيه إلى نفسه، وإعلامه بدنو أجله. فلذا كان فهم مقاصد الشريعة وحسن القصد نعمة يغبط عليها من تمثلت فيه..

واعلم أن الخوارج لا يخالفون أهل السنة في تعريف الإيمان ودخول الأعمال فيه بل غلو في جعل الكبيرة تزيل أصل الإيمان أما المرجئة ففرقة ترى أن العمل لا يدخل في مسمى الإيمان أصلا وأصحاب المعاصي عندهم

---

(١) مسلم (١٠٦٤).

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٨٧).

مؤمنون كاملو الإيمان، وحتما - بزعمهم – فإنهم لا يدخلون النار في الآخرة، وغلاتهم وهم مرجئة الجهمية يرون أن الإيمان هو المعرفة بالله فقط، فالكفر عندهم هو مجرد التكذيب فقط فمعنى ذلك في مذهبهم أن كل من كفره الرب كان السبب هو انتفاء معرفة الله من قلبه فإبليس كفر لذلك لا لامتناعه عن السجود وعناده، وعباد القبور كفروا لذلك لا لصرف العبادات لغير الله.فانتبه لما يتبناه مذهبهم الضال فمشركو العرب عندهم مؤمنون.. مع أنك أيها الموفق تعلم أن أكثر كفر الأمم كان بسبب الإعراض وعدم الانقياد لدين الله وما فيه من الإيمان والأعمال.. فها أنت يا لبيب ترى أن قول المرجئة يقتضي أن ترك العمل بنصوص الشرع بالكلية ليس كفراً ولا يؤثر، فتارك الصلاة بالكلية في معتقدهم كامل الإيمان.. والمنافقون في زمن الصحابة إيمانهم كإيمان الصحابة، لذا فالخوارج غلوا وأفرطوا والمرجئة تساهلوا وفرطوا وأهل السنة وسط بين المذهبين لا إفراط ولا تفريط.. فمرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته ولا يكفر ولا يخلد في النار.. وقد سبق ذكر الأدلة على أن الموحد لا يخلد في النار وهي متواترة.

وقول المصنف: « **وذُو العَرْشِ** »؛ ذو بمعنى صاحب، فيه إشارة إلى إثبات العرش، والعرش أعظم المخلوقات وهو سقفها خلقه الله ﷻ قبل كل شيء لحديث: « **وكان عرشه على الماء** »، ووصفه الله سبحانه بأنه مجيد وكريم

وعظيم.. فنؤمن به كما ثبت وأن الله استوى عليه استواءً يليق بجلاله وعظمته، وأن الله غني عنه بل العرش محتاج إلى الله، يسبحه ويمجده وحملة العرش من أعظم الملائكة عليهم السلام فقد ثبت أن مابين شحمة أذن أحدهم إلى ترقوته خفقان طير سبعمائة عام يقول: « سبحانك حيثما كنت » (صححه الألباني).

والأدلة على ثبوت العرش وروده في القرآن والسنة كثيرة كقوله تعالى: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾ [البروج: ١٥] ، وقوله: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥] ، وقوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [النمل: ٢٦] ، وقوله: ﴿ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ﴾ [الحاقة: ١٧].

ومن السنة ما ثبت في الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في دعاء المكروب: « **لا إله إلا الله العظيم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم. لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض رب العرش الكريم** »[1].

وسبق ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عند اسم الفردوس وفيه: « **وفوقه عرش الرحمن** ».. ودلت السنة على أن العرش له قوائم كما قال ﷺ: « **فإن**

(١) مسلم (٧٠٩٧).

الناس يصعقون فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش.. »[1].

ولا يجوز أن نخوض في أمور لم ترد في الشرع ولا نصف العرش بشيء لم ينص عليه دليل ثابت..

والعرش في اللغة: هو سرير الملك قال تعالى عن ملكة سبأ: ﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ [النمل: ٢٣] ولا يجوز أن نؤول المعنى الظاهر بتأويلات فاسدة وآراء باطلة كالقول بأن العرش هو الفلك أو الفلك التاسع أو هو المُلك ونحو ذلك فهل الفلك يوصف بأن له قوائم ثم تحمله الملائكة وأنه يؤتى به يوم القيامة.. وهل ملك الله يحمله يوم القيامة حملة العرش أو أن له قوائم.. وهل كان ملك الله على الماء كما قال تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود: ٧] فيا سبحان الله ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾..

ويا أخي عليك أن تعلم أنه لم يثبت في أطيط العرش حديث صحيح عن الرسول ﷺ ، ومقدار العرش لا يعلم قدره إلا الذي خلقه، وهو من المخلوقات الأربع التي خلقها الله بيده كما ثبت ذلك في حديث مرفوع أخرجه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وذكره في

---

(١) البخاري (٢٤١٢) بترقيم الفتح.

العلو وقال الألباني على شرط مسلم[١]. ونصه: قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «خلق الله تبارك وتعالى بيده أربعة أشياء: آدم، والعرش، والقلم، وجنة عدن. وقال لسائر خلقه: كن، فكان».

وعرش الرب عز وجل لا يلزم من إثباته أنه يشابه عرش أي ملك من ملوك الدنيا أو أن الرب محتاج إليه بل إن العرش وحملته والعالمين فقراء إلى الله محتاجين له فالرب هو الغني الحميد، ولا يجوز أن يمثل استواؤه سبحانه على العرش باستواء المخلوقين ولا يجوز أن نقول: إن في إثبات العرش له إثبات لملاقاته بالأجسام – تعالى القدوس عن كل عيب ونقص –.

قال الدارمي في الرد على الجهمية: « باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة » ثم قال: « وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحد ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا، وإلى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام وإليه نلجأ وبه نستعين ».

ولتدبيج الفائدة أذكر هنا مباحث هامة:

أولها: الكرسي.

---

(١) مختصر العلو ص١٠٥.

فقد اتفق أهل اللغة على أنه الشيء المعروف الذي يوضع تحت العرش يعتمد عليه ويجلس عليه، ويضع عليه الملوك أقدامهم.

والكرسي هو غير العرش، وهو جسم قائم بنفسه، وأعظم المخلوقات بعد العرش كما ثبت في حديث أبي ذر وفيه أنه قال: يا رسول الله أي آية أنزلها الله عليك أعظم؟ قال: « **آية الكرسي** » ثم قال: « **يا أبا ذر ما السموات السبع في الكرسي إلا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة** »[١].

وثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما: « الكرسي موضع القدمين »[٢] ولا يتصور قول مثل هذا بالرأي.

وأما ماروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن المراد به العلم فهي رواية غير صحيحة؛ قال ابن منده رحمه الله: « وهذا خبر لا يثبت ».

وأما القول أن الكرسي هو العرش نفسه فلم يثبت ذلك عن أحد من السلف الصالح وروايته عن الحسن البصري ضعيفة جداً كما ذكر ذلك ابن حجر.

---

(١) أخرجه البيهقي والذهبي في العلو برقم (٣٦) وابن جرير وقال العلامة الألباني: إن الحديث بطرقه صحيح.

(٢) التوحيد لابن خزيمة (١٥٥).

قال ابن كثير: « والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه، كما دلت على ذلك الآثار »[١].

وقال شيخ الإسلام: « والكرسي ثابت بالكتاب والسنة والإجماع » فنؤمن بما ورد دون تكييف ولا تعطيل ولا تحريف والله أعلم.

ثانيا: القلم.

وهو الذي أمره الله أن يكتب كل شيء في اللوح المحفوظ ولم يرد لنا نص صريح صحيح في ذكر مادة خلقه، لا من يراع أو من نور كل ذلك لم يثبت.. وهو أجل الأقلام وأفضلها كما ذكر ابن القيم وقال: « قال غير واحد من أهل التفسير: أنه هو الذي أقسم الله به »[٢].

وثبت أن المقادير تكتب من اللوح بأقلام غير هذا القلم الذي أمره الله أن يكتب كل شيء بدليل حديث ابن عباس رضي الله عنه وفيه قول الرسول ﷺ: «**رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٣].

---

(١) انظر تفسيره عند آية الكرسي.

(٢) التبيان في أقسام القرآن عند تفسير سورة القلم.

(٣) سنن أبي داود (٤٤٠٠).

وهناك قلم يكتب ما للجنين وهو في بطن أمه، وآخر وضع للعبد عند بلوغه بدليل: « **رفع القلم عن ثلاث** »[١] وهو الذي في يد الملكين أحدهما للحسنات والآخر للسيئات. والله أعلم.

ثالثا: اللوح المحفوظ.

وهو مستودع مشيئات الله تعالى، كتب الله فيه مقادير كل شيء ويسمى اللوح المحفوظ أو الكتاب أو الإمام المبين أو أم الكتاب.. وثبت ذكره في أحاديث كثيرة فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لما قضى الله الخلق كتب في كتابه، فهو عنده فوق العرش أن رحمتي غلبت غضبي** »[٢].

وقال تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ [البروج: ٢١ – ٢٢].

وثبت عن ابن عباس ﷺ قوله: « **لوددت أن عندي رجلاً من أهل القدر فَوَجأت رأسه، قالوا: ولم ذاك؟ قال: لأن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه ما بين السماء والأرض ينظر**

---

(١) أبو داود (٤٤٠٠).

(٢) متفق عليه.

فيه كل يوم شعبة وثلاث مئة نظرة، يخلق بكل نظرة ويحي ويميت ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء.. »[١].

وثبوت القلم واللوح المحفوظ لا شك فيه ولا يأباه إلا زنديق والله أعلم..

(١) أخرجه الطبراني بسند حسن. وقد قال الألباني: إسناده يحتمل التحسين.

قال المصنف:

٢٩ وَقُلْ: إِنَّمَا الإِيمَانُ: قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصَرَّحُ

٣٠ وَيَنْقُصُ طَوْراً بالمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنمي وفِي الوَزْنِ يَرْجَحُ

الشرح:

ثم ذكر المصنف تعريف الإيمان عند أهل السنة بأنه قول ونية وعمل. وهي أمور دلت عليها أدلة كثيرة في الكتاب والسنة أما كونه قول: فقوله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٣٦] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون: ١] ، وقوله: ﴿ قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ﴾ [الرعد:٣٠]، وقوله: ﴿ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [الزخرف: ٨٦].

ومن السنة قوله ﷺ كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أعلاها قول لا اله ألا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان** »(١).

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما وفيه قول الرسول ﷺ: « **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله إلا الله...** »(٢).

---

(١) مسلم (١٦٢).

(٢) البخاري (٢٥).

وحديث ربيعة بن عباد الديلي عندما رأى الرسول ﷺ بسوق ذي المجاز قبل أن يسلم رآه يقول: « **أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا** »(١).

وقول كلمة التوحيد هو العمل الذي تبنى عليه جميع أعمال اللسان أي: القولية؛ كقراءة القرآن والأذكار التي لا تقبل حتى يؤتى بهذه الكلمة العظيمة؛ فالقول: أصل وفرع.

وأما كون الإيمان نية: فهو الاعتقاد الذي يكون بالقلب الذي يتضمن الانقياد فالأدلة على ذلك كثيرة جدٌّ كثيرة فمن ذلك أن الله عز وجل وصف المنافقين في غير ما آية بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم فلو أنا أخرجنا الاعتقاد الصحيح في القلب من مسمى الإيمان لأصبحنا مثبتين لإيمان المنافقين ومكذبين لما أقره القرآن في الحكم عليهم فهم يؤمنون ظاهراً ويكفرون باطنا وتأمل قول الله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ [المنافقون: ١]. ولا يتصور القول بالإيمان ونطق الشهادتين حتى يكون لذلك اعتقاداً جازماً من القلب إلا أن يكون نفاقاً وكذبا وثبت من السنة حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **إنما الأعمال بالنيات** ».

---

(١) أخرجه أحمد بسند قوي (١٦٠٦٦).

وأما كون الإيمان عملا: فهو أن العمل يدخل في مسمى الإيمان وهذا الركن يخرجه المرجئة ولا يثبتونه وهو الذي أشار إليه المصنف بقوله: «**وَفِعْلٌ**».

والعمل يشمل عمل الجوارح وعمل القلب كالمحبة والخشية والتوكل والحياء ونحوها.. وأعمال الجوارح كثيرة كإماطة الأذى عن الطريق والسجود والركوع والصوم وبر الوالدين وغيرها..

وتأمل قول الرسول ﷺ لوفد عبد القيس: « **آمركم بأربع: الإيمان بالله وهل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا اله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا من المغانم الخمس** ». ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾[البقرة: ١٤٣][1].

قال المفسرون: أي: صلاتكم. ومع أن الصلاة من عمل الجوارح.

واعلم أن القرآن أخبار وأوامر مما يدل على أنه يجب التصديق بالأخبار ويجب العمل بالأوامر.. فمن عطل ركنا من أركان الإيمان الثلاثة فقد نقض إيمانه وهدم بناء إسلامه، إذ التصديق فقط دون عمل وانقياد هو فعل المشركين والقول والعمل دون تصديق هو فعل الزنادقة والمنافقين.

---

(١) البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما (٥٢٣).

ثم أشار المصنف إلى مسألة هامة وهي اعتقاد أن الإيمان يتفاوت فيزيد بالطاعة وينقص بالمعصية وهذا أمر لولا ابتلاء الأمة بالآراء الفاسدة والاعتقادات الباطلة من المرجئة وأزواجهم لما خاض أهل السنة في تفصيل الردود وتأصيل القواعد في ذلك لأن الأمر واضح جلي بل هو أمر محسوس وعليه توافرت الأدلة فكل مسلم يوقن أن إيمانه في قلبه لا يبق على حال واحدة..

لذا لما قال حنظلة الأسيدي رضي الله عنه: « لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله ما تقول؟!.قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيراً، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرا، فقال ﷺ: « **والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم لكن يا حنظلة ساعة وساعة – ثلاث مرات –** »[1]؛ ومعنى عافسنا: أي عالجنا ذلك لمعايشنا وحظوظنا التي لا بد منها.

(١) مسلم (٧١٤٢).

وبهذا يتبين لنا أن زيادة الإيمان ونقصانه أمر محسوس لا ينكره إلا ضال بعيد يقول تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَهُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾ [التوبة: ١٢٤] ويقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [الأنفال: ٢].

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **بينما أنا نائم إذ عرض علي الناس وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها دون ذلك، فعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره** » فقلنا: فما أولت ذلك يا رسول الله فقال: « **الدين** »(١).

فدل على أن الإيمان يتفاوت الناس فيه، كذلك ما ورد في الصحيح أن سعد بن أبي وقاص قال: قسم رسول الله ﷺ قسما فقلت: يا رسول الله أعط فلانا فإنه مؤمن. فقال: « **أو مسلم** »(٢).

فانظر كيف فرق الرسول ﷺ بين الاسمين. كذلك ما ثبت من حديث

---

(١) البخاري (٢٣).

(٢) مسلم (٣٩٥).

علي رضي الله عنه أن الرسول ﷺ قال: « **مليء عمار إيمانا إلى مشاشه** »[١] كناية إلى أن الإيمان خالط جسده وملأه وهذا يدل على أن الإيمان يتفاوت بين الناس، وهذا الأمر بيّن لا لبس فيه وهنا أحب أن أنبه على أمور تزيد في الإيمان، قد ذكرها أهل العلم ليحرص عليها المسلم مثل: تدبر القرآن، ومعرفة أسماء الله وصفاته، والتفكر في آيات الله ومخلوقاته، وكثرة اللجوء إلى الله، والقراءة في سير الصالحين، وكثرة الإحسان إلى المسلمين والله أعلم..

(١) المستدرك (٥٦٨٠) والسنن الكبرى للنسائي (٨٢٧٣) وابن ماجة (١٤٤) وصححه الألباني.

قال المصنف:

٣١ وَدَعْ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلَهُمْ فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وَأَشْرَحُ

٣٢ وَلاَ تَكُ مِن قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ فَتَطْعَنَ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ

الشرح:

يذم المصنف ويحذر من الأخذ بالآراء الضالة التي تخالف الكتاب والسنة، فإن كل قول أو رأي يخالف الوحي ويعارضه فهو رد كما ثبت في الصحيح أن الرسول ﷺ قال: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** »[1].

وأعظم الآراء الباطلة هي تلك الآراء التي عطلت صفات الرب وهدمت معاني الوحي المبين، وحرفت الحق وجعلت الباطل شعاراً يرتدونه، ودستوراً ينهجونه، فجعلوا العقل والظن المجرد مع تعطيل النصوص وتوهم التشبيه كتابَهم الأول، وشرعهم من دون الله.. فعلى المسلم أن يسلك طريق الحق ويعض بنواجذه على دستور الكتاب والسنة ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر: ٧].

ولقد كان أصحاب محمد ﷺ الذين تربوا في أعظم مدرسة وأجل جامعة وأرقى معهد كانوا يذمون الآراء ولا يقدمون رأي أحد كائنا من كان على

---

(١) انظر ص ١٦.

الوحي الظاهر فمن ذلك قول أبي بكر ﷺ: « **أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إن قلت في كتاب الله برأيي** »[١].

وكان ﷺ يقول إذا اجتهد في قضية لم يجد فيها نصا: « هذا رأيي فإن يكن صوابا فمن الله، وإن يكن خطأ فمني وأستغفر الله »[٢].

وكان عمر ﷺ يقول: « أصبح أهل الرأي أعداء السنة أعيتهم أن يعوها وتفلتت منهم أن يرووها فاستبقوها بالرأي ».

وقال ﷺ: « اتقوا الرأي في دينكم ».

وقال ابن مسعود ﷺ: « علماؤكم يذهبون، ويتخذ الناس رؤوسا جهالاً يقيسون الأمور برأيهم »[٣].

وقال: « إياكم و(أرأيت أرأيت) فإنما هلك من كان قبلكم بـ (أرأيت أرأيت) ولا تقيسوا شيئا فتزل قدم بعد ثبوتها وإذا سئل أحدكم عما لا يعلم؛ فليقل: لا أعلم فإنه ثلث العلم »[٤].

---

(١) سنن سعيد بن منصور (٣٩) ومصنف ابن أبي شيبة (٣٠٧٢٧).

(٢) سنن البيهقي الكبرى (١٢٠٤٣).

(٣) مسند الدارمي (١٩٤).

(٤) المعجم الكبير للطبراني (٨٤٧٢).

وقال علي ﷺ: « لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه ».

وقال سهل بن حنيف ﷺ: « أيها الناس اتهموا رأيكم في دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول ﷺ لرددته »[١].

ومع هذا ثبت عن أصحاب رسول الله ﷺ الأخذ في بعض المسائل برأيهم والاجتهاد فيها وهذا لا يتعارض مع ما ذكرنا من بعض أقوالهم إذ المقصود ذم الآراء التي تعارض الكتاب والسنة واعلم أن الآراء ثلاثة أضرب:

١- رأي باطل لا ريب فيه.

٢- ورأي صحيح موافق للشرع.

٣- ورأي هو موضع اشتباه.

فأما الأول: فممنوع وعليه تحمل أقوالهم في ذم الرأي.

وأما الثاني: فلا ريب في قبوله لأنه صحيح موافق للكتاب والسنة.

وأما الثالث: فهو الرأي الذي اجتهد فيها العلماء واستنبطوه وعليه تحمل آراء الصحابة في بعض المسائل الفرعية التي لا نص فيها وهو معترك الأفهام،

---

(١) البخاري (٣١٨١).

كما اختلفوا في كثير من الآيات نحو: الذاريات، البحر المسجور، وهي أمور لا يقتضي الخلاف فيها قدحا في المعتقد ولله الحمد بل كثير من ذلك يدل على سماحة الدين وعظم إعجاز كلام رب العالمين.

أما الآراء الباطلة المخالفة للنصوص أو التي قامت على الحدس والخرص مع التفريط والتقصير أو المتضمنة لتعطيل أسماء الرب وصفاته أو التي قامت بها البدع فهذه مذمومة باتفاق السلف كما ذكر ذلك ابن القيم رحمه الله والله أعلم(١).

وليعلم المسلم أن الرأي المذموم يعارض أعظم المقاصد وهو المتمثل في الانقياد لله ورسوله، فإن رد الكتاب والسنة حقيقته الطعن والكبر إذ إن المولى جل وعلا جعل الرد إلى شرعه ووحيه من موجبات الإيمان ولوازمه قال تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [النساء: ٥٩]، فدلت الآية على أنه لابد من الاختلاف بين أهل الإيمان، يختلفون وقد يتنازعون إلا في مسائل العقيدة وأسماء الله وصفاته، فقد يتنازعون في الأحكام فلا بد من الرجوع للوحي المقدس ثم إن الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة دليل الإيمان وهذا في أي مسألة، لأن الآية دلت على

(١) انظر إعلام الموقعين ج١ ص٥٣.

ذلك؛ فقوله: ﴿فِي شَيْءٍ﴾ نكرة في سياق الشرط، فتعم كل أمر تنازع فيه المسلمون وما من مشكلة إلا وفي الشرع حلها.

وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب:٣٦].

فحذر الله ﷻ كل من ترك أمره وأمر رسوله واختار غير ذلك بل حكم عليه بالضلال البين..

فكيف بمن ينبذ براهين الوحي بل يضرب بعضها ببعض نسأل الله أن يجعلنا ممن لا يحك رأسه إلا بكتاب أو سنة..

وأشار المصنف إلى أن اتباع الكتاب والسنة فيه الزكاء والانشراح، ولا زكاء ولا انشراح في آراء تخالف الوحي وتعارضه، فعلى ذلك أدلة كثيرة تدل على أن اتباع الشرع هو سبيل الزكاء والطهر والنجاة؛ قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٩]، وقال: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى: ١٤ -١٥]، وقال: ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[النساء: ٦٦]، وقال سبحانه بعد أن نهى أولياء الزوجات عن منعهن نكاح أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف: ﴿ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ

وَأَطْهَرُ ﴾ [البقرة: ٢٣٢] ، وقال عند أمر المؤمنين بغض البصر: ﴿ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ﴾[النور: ٣٠].

ففي كلا الأمرين دليل على أن اتباع الشرع فيه الزكاء والطهر.. بل التوحيد زكاء والصلاة زكاء والصدقة زكاء والوضوء زكاء والتوبة زكاء وكل الدين زكاء:

دين الزكاء وملة الأطهار دين عظيم طاهر الأركان
في كل أمر منه أعظم طهرة بل فيه نبراس من الديان
والمعرضون عن الإله فدعهم وعليك بالإسلام والإذعان
وانظر إلى أهل الحديث وحالهم فوجودهم نور على البلدان
ذادوا عن الدين وسادوا عزة أهل القنوت وزينة الأجفان
ورموا بقول الحق كل دسيسة في معقل الإفساد والشيطان

فأهل الحديث هم ذروة العلماء، وسلم الفقهاء، وحصن الدنيا، رفع الله قدرهم ونضر وجوههم، فوالله إن الله حفظ الدين بأهل الحديث..

وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴾ [التوبة: ١١٢]؛ قال هم طلبة الحديث.

وكان علي بن معبد إذا رأى أصحاب أهل الحديث يقول: « شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم، مغبرة وجوههم ».

ولقد أحسن من قال:

علم الحديث أجل السؤل والوطر فاقطع به العيش تعرف لذة العمر

فأهله القوم إذ لاحت وجوههم رأيتها من سنا التوفيق كالقمر

أجل شيء لديهم قال « أخبرنا » عن الرسول بما قد صح من خبر

هذي المكارم لا قعبان من لبنٍ ولا التمتع باللذات والأشر

ألا شاهت وجوه الطاعنين، وأخزاهم الله في كل حين، فو الله لا يطعن فيهم إلا من خبثت سريرته، وأنتنت سيرته، وهذه حيلة العاجزين ودين أهل الكلام، الذين تلهوا بدينهم وضيعوا أمر ربهم..

والضحك والسخرية بالمؤمنين صفة من صفات المنافقين ودين من دين الكافرين.. وقد هدد الله اللماز وتوعد الهماز بالويل والثبور.

وقد ظهر في عصرنا هذا طائفة تدعي الإسلام وهي تطعن في الدين وأهله بالرجعية والانطوائية.. بل يسمون المتمسكين بالدين بالأصوليين الرجعيين السطحيين وهذه ألفاظ شيطانية ترمي إلى أخبث المقاصد وتحوي أردى النوايا وهذه سنة المفاليس العاطلين قد كان قبلهم أناس رموا الرسول ﷺ

بأباطيل سافرة وألفاظ طاغية، فلم يضروه شيئا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴾ [المطففين: ٢٩ – ٣١]، وقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ﴾ [يونس: ١٥] ، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ﴾ [فصلت: ٤٠] ، وقال: ﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [المائدة: ٥٨].

قال المصنف:

٣٣ إِذَا مَا اعْتَقَدْتَّ الدَّهْرَ يَا صَاحِ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبِيتُ وَتُصْبِحُ

الشرح:

لما بين المصنف ﷺ مبادئ العقيدة الصحيحة وأهم أصولها التي يجب على المسلم أن يعتقدها وأجمع عليها أهل السنة وعلماؤهم من الصحابة والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، نوه بفضل من تمسك بمنهجهم ودان بملتهم، ووضح أن السلامة والنجاة لا تكون إلا لمن اعتقد بهذه العقيدة السليمة.

وقوله: « **يَا صَاحِ** »؛ أصله يا صاحبي فهو تودد منه وإشفاق، ورخم النداء للملاطفة في النصح ولوزن البيت من جهة الصفة العروضية ونحن نقول رحم الله الناظم وجزاه خير الجزاء وجعل قبره نورا وسرورا..

وغفر الله له ولعلماء المسلمين الأحياء منهم والميتين ولجميع موتى المسلمين الذين شهدوا له بالوحدانية وماتوا على ذلك..

وهذا ما أردت إعداده فما كان من صواب وتوفيق فهو فضل الله وحده وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان وأستغفر الله لي ولسائر المسلمين من كل ذنب وأسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يبارك في هذه الأطروحات اليسيرة وأن يمن عليها بالقبول والتوفيق، وأن يجزي كل من أعان عليه خير الجزاء..

فضل من الله لا فضل من الناس فاغفر أيارب واستر وسم إفلاس

فأنت أكرم مسؤول فمُنّ عسى نلقى النعيم بلا هم وإبلاس

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[الصافات: ١٨٠ – ١٨٢].